منشورات
روايات الهلال

لن أسامحك

مجلة روايات احلام

منتديات ليلاس

كن صديقي

«عزيزي مايلز

هذه هي النهاية... إنه الوداع... إلى أي مرحلة من مراحل الجنون أوصلتني؟ أنا لا أستطيع لملمة نفسي وأنا معك، أو الاحتفاظ بعقلي... لهذا لا أستطيع البقاء معك في المستقبل.

لن تفهم هذا... أنا واثقة... لكنني حزمت أمري ولن أهجر مبادئي وطريقة عيشي التي اتبعها.

أمضيت أوقاتاً رائعة معك... لكن هذا كله كان مجرد سراب... إذن... وداعاً... وأرجو منك ألا تأتي لتراني.

رونا».

أعاد مايلز قراءة الرسالة ثانية... هكذا إذن... ولكنها لن تنجو مما فعلت... إنها تحبني... ولن تتمكن من الابتعاد.

غير أن رونا أثبتت أنها مختلفة عن سائر النساء اللواتي عرفهن!

الثقافية

لبنان ٣٠٠٠ ل.ل.	الامارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الاردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ بيسة	العراق

www.liilas.com

doode

مجلة روايات احلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

١ ـ فتاة غير عادية

حين دخل مايلز ماديسون إلى الغرفة.. كانت رونا وايل تقف أمام طاولة صغيرة مطلية بالذهب في غرفة العرض، تقلب نماذج من قماش رائع. رفعت رأسها فرأت زوجاً من العيون البنية في وجه أسمر وسرعان ما جذب اهتمامها، وتكون لديها انطباع سريع عن قوة ديناميكيته وسهولة سيطرته، انطباع سرعان ما تلاشى حين قال بصوت لطيف:

ـ صباح الخير.. لقد جئت من أجل السيدة سيرفُند.

ردت رونا:

ـ صباح الخير. إنها تقيس ثيابها.. لكنها لن تؤخرك أرجوك اجلس

جلس في أحد المقاعد الناعمة، وتابعت رونا تقليب نماذج القماش. فجأة، تحركت الفتيات في غرفة العرض بنشاط مختلقات الأعذار ليمررن به، وليمنحنه تحية الصباح ببسمة.. لكن رونا لم ترفع رأسها مجدداً، بل ظلت تختار القماش مفكرة، منحية ما لا يعجبها. كانت في الواقع فتاة طويلة نحيلة ترتدي بذلة سوداء.. فتاة ذات جسد منتصب رائع، وقسمات جميلة.. أخذ مايلز ماديسون يراقبها، مفكراً أنها عاجلاً أم آجلاً، ستنظر إليّ، فتراني أراقبها.. لكنها لم تفعل.. تناولت بضع قطع من القماش وارتدت على عقبيها تهم بمغادرة الغرفة دون أن تنظر إليه.

سألها بلطف:

ـ أتسمحين.. هل لك أن تطلبي من السيدة سيرفُند أن تسرع؟ لدينا موعد غداء.

التفتت، فالتقت عيونهما مجدداً، وأثّرت فيها مجدداً قوة شخصيته.. ولكنها قالت لإحدى فتيات غرفة العرض:

ـ مادلين، هلاَّ سمحت أن تذكري السيدة سيرڤند بأن لديها موعداً للغداء، وأن هناك سيداً ينتظرها؟

وقف مايلز على قدميه قائلاً:

ـ شكراً لك.

غادرت الغرفة مبتسمة قائلة له:

ـ عمت صباحاً.

فيما بعد حين برزت رونا إلى الشارع لتذهب إلى الغداء، وجدت الرجل نفسه يرافق السيدة سيرڤند إلى سيارة أنيقة منتظرة، كانت ستستمر في المسير إلا أنه وقف فوراً وابتسم:

ـ هل لنا أن نقلك إلى مكان ما؟

نظرت السيدة سيرڤند إليه بدهشة، وعرفت رونا أنه لا يعرض عادة إيصال أحد من قسم تصميم الملابس.

ـ لن أذهب إلا إلى ما وراء هذه الزاوية، شكراً لك.

كان هذا كل شيء، كل الحديث الذي دار بينهما.. ولم يكن في مثل هذا الحديث المتبادل المهذب ما قد يعاود ذاكرتها مرات ومرات. ومع ذلك، تذكرت كلماته بدقة. حين تعود السيدة سيرڤند، ستسألها عن هويته.

كان لرونا غرفة استراحة خاصة بها، إلى جانب مكتب «المدام» الفخم.. في هذه الغرفة كانت تعدّ التصاميم التي تدفع المدام لها أجراً جيداً لقاءها، والتي كانت تسعد في أن تقدمها إلى زبائنها المفضلين.. عملت رونا مع المدام ما يقارب عشر سنوات. خلال هذه السنوات العشر عملت، ودرست جاهدة، وأبقت عينيها ودماغها مفتوحين على وسعهما، يرافقها إحساس بأن هناك المزيد في هذا العمل ما زالت تجهله. مرة أو اثنتين كانت على وشك ترك هذا العمل. أول مرة، منذ مدة، حين بدا لها أن المدام لن ترقيها لتكون عارضة، فأمّنت لنفسها عملاً مع مؤسسة منافسة.. لكن المدام سارعت إلى ترقيتها، وضاعفت راتبها لتستبقيها.

لكن رونا، صممت ثانية أن تركز على التصميم.. وجرت بينهما مشادة انتهت بحصول رونا على غرفتها الخاصة، وعلى مركز مرموق في المؤسسة. كانت تعرف أن المدام أذكى وأمكر من أن تقوم بما لا يناسب مصلحة مؤسستها..

عادت المدام بعد الظهر، امرأة صغيرة الجسم، عادية الجمال، معقولة المظهر دائماً، مع ماكياج لا عيب فيه.. كان لها دماغ رائع، وحكم ممتاز في اختيار موظفاتها وموظفيها.. ومع أنها لا ترغب في الاعتراف بهذا لرونا، إلا أنها كانت تجدها جوهرة أغلى من أي ثمن.

بعد تبادل الحديث مع سكرتيرتها أرسلت تطلب رونا إليها، لتقول بعد أن وقفت أمامها:

ـ حسناً.. ما رأي السيدة سيرڤند بتلك التصاميم؟

ـ ستعجبها على ما أظن.. فقد كان مزاجها نكداً اليوم ولم تعترف أنها أحبتها. لكن، نظراً لخبرتي معها أظنها ستشتريها كلها.

ـ الآنسة رستون بارعة في القياس لكنها سيئة في إقناع الزبونة أو طمأنتها.

ـ أتساءل عمن جاء ينتظر السيدة سيرڤند.. إنه رجل طويل أسمر.. إحدى تلك الشخصيات الجذابة.. لكن من هو؟

ـ أتوقع بما أنه رافق السيدة سيرڤند منذ شهرين أو ثلاثة أن يكون مايلز ماديسون.

ـ من هو؟ ماذا يفعل؟ وهل سيكون زوجها الجديد، أتظنين؟

نظرت المدام إلى رونا مفكرة، فهي لم تبد يوماً اهتماماً برجل.

ـ لماذا تريدين معرفة أي شيء عنه؟ لن يفيدك هذا يا رونا.

ـ لقد أثار اهتمامي.. مع أنني لمحته صدفة.

ـ يا عزيزتي، إنه يثير اهتمام أي كان تقريباً. مع أنك لم تختاري الشخص المناسب ليثير اهتمامك.

ـ ولماذا؟ حدثيني عنه.

ـ سمعته مع النساء سيئة . . لكن سمعته العملية فوق الشبهات . . له أصبع في مئات الشركات الصناعية وفي أي خبر صفقة رابحة ستجدين اسم مايلز ماديسون . إنه يجني المال وينفقه على اليخوت ، والڤيللات ، وعلى خيول السباق ، والنساء .

ـ والسيدة سيرڤند؟

ـ أتصور أنها تأمل في أن تجعله زوجها ، رقم أربعة . . لكنه أعزب متشدد ، وأظنها تضيع وقتها . . .

في غمرة العمل الناجح ، نسيت المدام كل شيء عن مايلز مادسون ولكن رونا لم تنس . فقد فكرت فيه كثيراً ، وفي المعلومات التي أعطتها إياها المدام . كانت تنتظر زيارات السيدة سيرڤند ، وتظل موجودة بانتظار أن يحضر ليأخذها . . لكنه لم يأت . فتشت عنه في المجلات والجرائد ووجدت المعلومات غير كافية . . ولم يعد يظهر في محل الأزياء . . تخلت عن ترقبها هذا .

في صبيحة أحد الأيام ألغت السيدة سيرڤند موعد قياسها ، وكانت رونا على وشك الخروج لتناول الغداء . . التقت به في الردهة الخارجية . . رفع قبعته ليحييها :

ـ جئت لأصطحب السيدة سيرڤند .

ـ آسفة . . لقد ألغت موعدها هذا الصباح .

ابتسم :

ـ إذن لقد أضعت وقتي .

خرجا معاً إلى الشارع . . كانت سيارته الفخمة بالانتظار . . فالتفت إليها يسألها :

ـ هل لي أن أوصلك إلى مكان ما؟

ـ لا . . شكراً لك ، فأنا ذاهبة إلى ما بعد تلك الزاوية لأتناول الغداء .

ـ وحدك؟

ـ أجل .

ـ أتقبلين دعوتي للغداء؟

رفعت نظرها إليه . . إنه أطول منها بقليل ، وهكذا تقابلت بعينيه السوداوين وترددت ، ثم قالت في النهاية :

ـ أجل . . سأحب ذلك!

ـ عظيم .

فتح لها باب سيارته . . فجلست إلى جانبه بصمت ، وانطلق . . ثم سأل :

ـ أتفضلين مكاناً محدداً؟

ابتسمت : لا . .

ـ هل أنت دائماً على استعداد للشقة على رجل مهجور؟

ـ لا .

ـ لماذا فعلت هذا . . اليوم؟

نظرت إليه بسرعة دون أن ترد . . وأحسّ بنظرتها ، فانتظر . . ثم سأل :

ـ حسناً؟ . .

ـ فكرت أنني سأحب التحدث إليك .

ـ أوه . . هذا لطف منك . . وصدق . وأنا سأحب التحدث إليك . . أحس أن لدينا الكثير لنقوله لبعضنا .

ـ وهذا ما أحس به . . لكن ليس من نفس النوع الذي تتوقعه .

ـ أنا لا أتوقع شيئاً . . فإذا كنت لا أعرفك ، فكيف أعرف ما أتوقع منك؟

ـ أصبحت تعرف شيئاً عني .

ـ وما هو؟

ـ إنني جئت إلى الغداء معك فور دعوتك .

ـ أجل . . ودون ذرائع . .

وسارا إلى المطعم ، فجلست قبالته تنظر إليه ، ورد لها نظرتها فقوّم

كل منهما الآخر لدقائق. ثم سألها:

- هل أعجبك ما رأيته؟

- لست أدري، فما رأيته قليل جداً.

- وما هو؟

- أرى أنك معقد.. ولست سهلاً.

- لكنني معجب بما رأيت. أنت فتاة حلوة، رونا وايل.

أخفضت عينيها، وغادرت البسمة شفتيها وبدا وجهها جدياً... فقال:

- لقد انخفضت الستارة الحديدية الواقية.. فهل ستتعارف بشكل أفضل آنسة وايل؟

- أتمنى ذلك.

- أنت تدهشينني.. لماذا تتمنين هذا؟

نظرت إليه.. شيء في وجهه، في عينيه، جعل عينيها تلمعان. فضحكت فجأة، ضحكة واضحة مرحة. ولم يكن يدري أن هذا أمر غير عادي منها.. لكنه أعجب بها. وقالت:

- لأن لي، دوافع خفية.. لي هدف خاص.

- إذن.. أنا محكوم عليّ.

هزت رأسها:

- أنت لا تفهم.. لكن لا يهم.

- أنت فتاة غير عادية.

- ربما غير عادية أكثر مما تتصور.

- منذ متى تعملين في ذلك المكان؟

- منذ سنوات وسنوات.

- وماذا تعملين؟

- مصممة أزياء.

- جيدة؟

- جيدة جداً.

- هل أنت مهتمة جداً بعملك؟

همست:

- عملي هو حبي.. حبيبي، وفرحي.

- ماذا قلت؟

- لا يهم.

- قولي لي ما قلت؟

- لا.. لا يهم.

- سمعته.. يا الله.. أنت شخصية غريبة رونا وايل!

- لا أظن أنني غريبة مطلقاً.

كانا يأكلان طعامهما وهما يتحدثان، ولاحظ أنها نظرت إلى ساعتها أكثر من مرة، فسأل:

- أتعودين إلى عملك بعد الغداء؟

- أجل.. ويجب أن أذهب قريباً.. لا يجب أن أتأخر.

- سأعيدك، متى ستتقابل مجدداً؟

- متى تريد رؤيتي مجدداً؟

- تناولي العشاء معي في الغد.

- لا.. فالغد هو يوم الجمعة، وأنا ذاهبة إلى الريف لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- إذن.. مساء الاثنين ستتناولين العشاء معي؟

- سأحب هذا كثيراً.

جمعت حقيبتها وقفازها.. وقال لها:

- سأنتظر مساء الاثنين بفارغ الصبر.

ابتسمت:

- وأنا كذلك.

في نهاية يوم العمل، اتجهت رونا إلى منزلها، عبر المترو تحت

الأرض، ثم الباص، إلى الشقة التي تتشارك فيها مع صديقة لها.. عادة تستخدم وقت الرحلة للتفكير.. بالتصاميم والقماش، والألوان.. كان دماغها مفعماً بالأناقة، وبالتصاميم المختلفة.. لكن كل هذا، تراجع هذا المساء ليفسح المجال لمايلز ماديسون.. فقد احتل كل تفكيرها، وراجعت حديثهما مرات ومرات.. عرفت أنه يهتم بها، ويجب أن تبقيه مهتماً.. رغم أنها لم تختر متعمدة أن تثير اهتمامه.

وصلت إلى المنزل القديم الذي تسكنه مع ديانا، وصعدت عدة سلالم لتدخل إلى الغرفتين العلويتين فيه والمطبخ الصغير. كانت ديانا قد سبقتها إلى هناك.. تحيط بها حقائب وصناديق كرتون، ثياب وأوراق، وأواني خزفية.

ـ رونا.. أرجو عذرك، الشقة في فوضى كاملة.. أريد تجهيز كل هذا للحمالين في الصباح.

ـ سأساعدك.

ـ عظيم، فأنا فعلاً في حاجة للمساعدة لربط هذه الصناديق.. لكن سنأكل أولاً، فهناك وجبة طعام في الفرن.

ـ أستطيع أن أشمها.

وضعت الطعام على طاولة صغيرة قرب النافذة:

ـ لن أتناول طعاماً جيداً وأنت غائبة ديانا.

ـ حسناً.. أرجو أن تأكلي بما يكفي. فلو رأيتك نحيلة، سأرسلك إلى الريف ليغذوك هناك.

ضحكت رونا.. وجلستا تأكلان. قالت رونا:

ـ أتساءل.. كيف ستكون الحياة هنا دونك، بعد أن عشت معك لوقت طويل.

ـ أظنها ستكون سلاماً سماوياً.. لا جدياً.. أرجو أن تعجبك، لقد مضى حتى الآن تسع سنوات علينا معاً.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. أتذكرين الضجة التي افتعلتها أمك لمشاركتنا الشقة؟ أرادتنا

أن نعيش في نزل..

ـ أذكر.. وجعلت السيدة كيزلر تراقبنا كي لا نتجرأ على العودة متأخرتين.

السيدة كيزلر كانت صاحبة المنزل، امرأة متزنة ضخمة الجسم، لكن بروحها المرحة دفعت الفتاتين إلى محبتها.

ـ إذا كنت قد نجحت في عملي يا ديان فالفضل يعود لك ولأمك.

ـ ما هذا الكلام الهراء؟ كل شيء يعود لموهبتك.

ـ والتي كانت عائلتي ستقتلها إلى الأبد.

ـ لا أظن المواهب تموت إلى الأبد بسهولة.

صمتتا لحظات، تفكران بعائلة رونا.. مجموعة مترددة، مفككة ضعيفة، ما من أحد منهم أراد وجود رونا حين ولدت بعد وقت طويل على ولادة الأبناء الآخرين.. الباقون كانوا كباراً حين كانت هي طفلة. الجميع كانوا يكسبون جيداً، لكنهم كانوا يصرفون أكثر مما يكسبون، كانوا أناساً لا إحساس لديهم بالمسؤولية تركوا رونا تلعب في الشوارع، وكانوا يرسلونها إلى النوم حال وصولها إلى المنزل.. هكذا، بعد أن أسفت والدة ديانا لحالها سمحت لها أن تلعب مع ديانا في منزلهم. وأعطتها بعض القيم لتعيش عليها، وشجعتها على الرسم والقراءة.. بعد ذلك عرّفتها إلى المسرح والباليه والموسيقى. ثم، بعد رحيل عائلة وايل، تركوا رونا مع السيدة لايونز، دون ترك عنوان لهم. وأحست رونا أخيراً أنها تحررت منهم.. وتطورت الفتاة النحيلة الشاحبة المنطوية على نفسها إلى فتاة جميلة سعيدة، بجمال أبيض وأسود: سواد شعرها الحريري، ولمعان عينيها البنيتين، وجهها أبيض شاحب، بيضاوي له تأثير صاعق. تنهدت ديانا وهي تقول:

ـ الوصول إلى نهاية شيء تمتع به المرء دائماً وأحبه، يجعله يمتلىء بالحنين إليه.

ـ لا يجب أن تشعري بهذا.. مع المستقبل المتوقع، وكل الهدايا،

والزفاف، والمنزل الجديد بأثاثه الجديد. هذا دون ذكر ادوارد.

- حفظه الله لي.. مع ذلك بدأت أحس بالحنين إلى كتبي، وأشيائي الخاصة، وما إلى ذلك.. أتذكر أين ومتى اشتريتها.. كل كتب الباليه هذه! كل ذلك الجنون الذي كان لنا في الباليه..

- لن أنسى المرة الأولى.. أخذتنا أمك إلى بحيرة البجع كان هذا ثورة بالنسبة لي.. ذلك المساء بالفعل، هو الذي فتح لي باب الحياة. فجأة رأيت ولأول مرة أن الجمال شيء يمكنني أن ألمسه وأعمل معه.. وليس فقط شيء بسيط أعجب به. ذلك المساء.. أوه.. ديانا.. حبيبتي ديانا.. أنت تصغين إلى هذري، وتشجعينني.. أنا لا أتكلم إلى أي إنسان غيرك هكذا.. أنت صمّام أماني.. وهناك ما أريد قوله لك.. عن رجل تناولت الغداء معه، اليوم..

وأخبرت ديانا عمّا حصل وعن مايلز ماديسون، وعن وعدها بالعشاء معه يوم الاثنين.. فسألت:

- ومن أي نوع من الرجال هو؟

- رجل عالي، غني، سمعته سيئة مع النساء: جياد سباق، ڤيللات في فرنسا، وما إلى ذلك.

- وهو مهتم بك؟

- أجل..

نظرتا إلى بعضهما البعض، وابتسمت رونا:

- لا تقلقي يا ديانا.. السيد ماديسون سيواجه مفاجأة. أريد فقط أن أبقيه مهتماً لوقت طويل.

- بما يكفي لأن يتعلق بك؟

- بالضبط.

بدا الارتياب على ديانا:

- لا بأس، طالما لن تكون هناك ارتباطات.

- لن يكون هناك.. على الأقل لا أظن. وأنا لا أعرفه بعد.. لكنني

أظنه مستقيماً بما يكفي، محتشماً يمكنه القيام بعمله مع ارتباط أو من غير ارتباط. لكن المشكلة.. إنني لا أملك مالاً أبداً.

ضحكت.. لكن ديانا تعرف أن رونا لن تكون سعيدة إلى أن تعمل لنفسها، في مؤسستها الخاصة، لتثبت للعالم أنها هي، رونا وايل، أنثى لا تملك الماديات، ابنة العائلة السيئة، تستطيع النجاح في حياتها.

أمضتا نهاية الأسبوع في الريف، في القرية التي انتقل آل لايونز إليها لقضاء سنوات شيخوختهما، حين تعرفت ديانا مؤخراً إلى مزارع شاب سيصبح الآن زوجها. معظم الوقت، مضى في المنزل الريفي، ترتبان الأثاث تعلقان الستائر، تضعان الخطط النهائية للزفاف في الأسبوع المقبل. مساء الأحد، عادت رونا لوحدها إلى لندن.

هذا الأمر بحد ذاته كان غريباً عليها، لطالما عادت مع ديانا.. بعد زيارة أهلها. دائماً كانتا تعودان إلى الشقة معاً.. تتحدثان عن عطلة نهاية الأسبوع، وها هي الآن تعود لوحدها، لتبدو لها الشقة فارغة إلا من الصدى.. لم تكن خائفة من البقاء وحيدة.. فهي غالباً ما تتوق إلى العزلة، لكنها لم تعش من قبل لوحدها. وتساءلت كيف ستكون الحياة.

الأسبوع الأول بالكاد كان تجربة معقولة. فمساء الاثنين تناولت العشاء مع مايلز ماديسون، ويوم الأربعاء تناولت الغداء معه.. يوم الجمعة انتظرها على مسافة من مؤسسة المدام ليتعشيا معاً مرة أخرى. أخذها إلى فندق ريفي كان معروفاً فيه، حيث تمتعا بعشاء جيد، ثم جلسا فيما بعد في مقعد هزاز في الحديقة المظلمة، حيث دخن مايلز سيكاراً، وجلست رونا إلى جانبه بصمت.

جلست إلى جانبه هادئة دون حراك، وأعجبه هذا منها، أعجبته قدرتها على الهدوء. أعجبه أنها لم تكن تحب الكلام الكثير. ووجد نفسه يتساءل بماذا تفكر.. لكن هذا السؤال لم يزعجه كثيراً.. فإذا كان يتوقع من النساء الكلام الكثير، فهو لا يتوقع منهن التفكير.

لكنه كان سينذهل لو عرف الأفكار التي تشغلها. فكلها كانت تتعلق

به، لكن بطريقة لم يكن ليتوقعها. فرونا ليس لديها أوهام حول الرجال. طوال حياتها مالت إلى إبعادهم عنها.. وكانت تعرف أن مايلز يجدها جذابة، وتعرف أنها باستخدامها التكتيك الحذر والعبقرية والذكاء، تستطيع استخدامه لمصلحتها..

ـ لم أعرف من قبل امرأة صموتة مثلك.

ـ لا؟

ـ مع أن عذرك للخروج معي في الأسبوع الماضي كان رغبتك في التحدث إليّ.

ـ أجل.

ـ ومتى ستبدأين؟

ـ فيما بعد.. فيما بعد!

ـ كيف تعرفين أن هناك «فيما بعد» أمامنا؟

ـ أظن أنه سيكون.. ألا تظن أنت هكذا؟

ـ أجل.. أظن هذا.

أمسك يدها بيده.. فابتسمت.. بالطبع هو لا يفهمها أبداً. ولا يمكنها أن تلومه لهذا، سحبت يدها منه بسرعة، دون أن تغضبه، لكن دون دعوة إلى محاولة أخرى.. فقال:

ـ الوقت مبكر في تعارفنا لهذا؟

وابتسمت دون أن ترد، فسأل:

ـ لماذا قبلت الغداء معي ذلك اليوم؟

ـ سأقول لك فيما بعد، حين أعرفك بشكل أفضل.

ـ ألا تعرفينني أبداً؟

ـ أوه بلى.. أعرف قليلاً عنك.

ـ وماذا تعرفين؟

ـ أعرف أنك رجل أعمال، وأنك ثري..

ـ وماذا غير ذلك؟

ـ وأن لك ميلاً للنساء الجميلات.

ـ لبقة.. عزيزتي وايل الشابة، لبقة، وماذا أيضاً؟

ـ إنك واثق من نفسك.. لكن كل هذا مجرد إضافات لشخصية لطيفة.

ضحك عالياً:

ـ هيا بنا.. سأعيدك إلى لندن.

وضع يده تحت ذراعها بثقة وقادها إلى سيارته. وقال لها وهو يدخلها إلى السيارة:

ـ أنت شابة مثيرة يا وايل.

ردت بثبات تذكره:

ـ وايل هو اسم عائلتي.

ـ هذا صحيح.. هذا صحيح.

أعادها إلى المنزل.. كانت شقتها تقع في شارع عريض فيه منازل كانت يوماً فخمة، وتحولت كلها الآن إلى غرف مؤجرة أو إلى شقق سكنية... وكانت المنطقة هادئة محترمة، تؤوي الموظفات والموظفين.

أخذ مايلز ينظر في الشارع صعوداً ونزولاً، ثم قال:

ـ إذن هنا تسكنين؟

ـ أجل.

ـ مع عائلتك؟

ـ لوحدي.

ـ ماذا، دون عائلة؟

ترددت، ثم هزت رأسها نفياً.. ففكر: لا عائلة لها تنوي إخباري عنها. وأكمل:

ـ هكذا إذن. ألن تطلبي مني الصعود معك؟

ـ لا.. فقد تتصور صاحبة المنزل سوءاً.

وصلت ابتسامته إلى عينيه، حتى أنهما تجعدا وهو ينظر إليها..

وسأل:

ـ إنه ذلك النوع من المنازل إذن؟

هزت رأسها:

ـ نحن هادئون جداً، ومحترمون..

ـ رائع.. لا أستطيع التفكير بخلفية أفضل من هذه لفتاة شابة تعيش لوحدها.

ردت:

ـ لكنني أستطيع التفكير بالكثير.

ـ في المرة القادمة التي نتناول العشاء فيها معاً.. ستخبريننى عن هذه الخلفيات.

دون شك، أساء فهم قصدها.. وما لم يفكر به، أنها تعني أن لا شيء سيكون بسيطاً البتة في علاقتهما.

* * *

www.liilas.com

doode

٢ ـ ماذا تريدين مني؟

استلقت رونا بكسل في الكرسي الطويل، تتمتع بدفء أشعة الشمس، تراقب ديانا وهي تزيل العشب الضارّ من أرضها المزروعة.

من خلفها كانت الأراضي الريفية ترتفع بلطف فوق التلال المنحنية، بعضها مشجّر، وأشجارها تصل إلى حدود السماء، تلوح أمامها مطحنة هواء ما زالت أذرعتها سليمة تدور مع الريح.

قالت رونا:

ـ هذه نعمة ليس لها حدود!

عدّلت ديانا قامتها وابتسمت لصديقتها قائلة:

ـ أليست كذلك؟ استيقظ كل صباح وأقول لنفسي كم أنا محظوظة.. محظوظة بأدي، وبهذا المنزل الرائع.

ادوارد كان ما يزال يعمل في الزراعة مع أبيه، لكن العجوزين، بنيا لنفسيهما منزلاً صغيراً حديثاً وتركا المنزل الكبير للعائلة الشابة، وهذا تدبير لاءَم الجميع.. وأكملت ديانا:

ـ أعلم أن المنزل كبير، لكنني أنوي أن يكون لي عائلة... ويمكن أن تفكري بأن لي عائلة الآن تقريباً.. فأولاد أخوة ادوارد وأخواته يتواجدون دائماً هنا.. كان لهم كبيت ثانٍ حين كان جدهم وجدتهم يعيشان فيه، ويعتقدون أنه ما يزال هكذا.

ـ وهل تمانعين؟

ـ أبداً.. بل أنا أحب هذا. إنهم أطفال رائعون، والمنزل كبير.. وأنا أحب استقبال الضيوف، إدي لديه عشرات الأصدقاء.. وبالطبع غرفتك ستبقى غرفتك في أي وقت أتيتِ.

ـ المكان جميل جداً بالنسبة إلى شوارع لندن القديمة الغبراء.

ابتسمت ديانا لها:

ـ قد يكون هذا منزلي الروحي.. وأنا أؤمن بهذا، لكنه ليس لك، فمنزلك قطعاً في لندن.. وأنا لن أعود إلى السكن في لندن ولو لقاء ثروة معك.

ـ وأنا أعتقد حقاً أنني لن أعيش خارجها ولو لقاء ثروة معك. لكن، من اللطف المجيء إلى هنا لرؤيتك، أعتقد أنني ما زلت أشتاق إليك.. أتصدقين أننا ما زلت أصغي لأسمع وقع أقدامك على السلم، وما زلت أحس بالدهشة حين أستيقظ ولا أجدك في السرير الآخر؟

ـ حسن جداً.. لم يمر أكثر من شهر بعد على زواجي.. منذ خمسة أسابيع فقط تركت الشقة.. ألا يمكنك فعل شيء لملء الفراغ؟

ـ يساعدني مايلز ماديسون على ملئه. أظنني يجب أن أكون ممتنة له لهذا.. سيحصل لنا على تذاكر لعرض الباليه في الأسبوع المقبل.

ـ أي عرض للباليه؟

ـ لست أدري.. نحن نتناول العشاء معاً، بشكل دائم.

ـ ألم تذكري له بعد شيئاً عن عملية التمويل؟

ـ لا.. مع أنني أحياناً أكاد لا أستطيع الانتظار.. ثم أقنع نفسي بوجوب إعطائه الوقت الكافي ليعرفني أكثر.. ليرى بنفسه ما أملك من ذكاء.

ـ وبمعرفتك به أكثر.. أما يزال يبدو لك شخصاً غير مرغوب به؟

ـ لم أقل انه غير مرغوب به ديان.. لا.. بل أنه بطريقة ما.. مرح.

ـ طالما أنك تتركين له المجال ليغريك..

ـ لا أنوي ترك المجال لهذا أن يحدث.

عطلة الأسبوع مع ديانا أعادت لرونا انتعاشها وأضفت لوناً أسمراً على خديها.. ظهر الأولاد في المزرعة وساعدوا على تسليتها، بينما بدا ادوارد سعيداً حقاً باستقبالها.. ومع أنها عادت إلى الشقة وحيدة إلا أنها

لم تبدُ لها معزولة كما في المرة الأولى، خاصة أن مايلز أرسل باقة كبيرة من الزهور الجميلة وضعتها لها السيدة كيزلر في الماء.

التقته في مساء يوم من ذلك الأسبوع لحضور حفل الباليه، وكانت ترتدي فستان سهرة من تصميمها، وعرفت أنه كان مسروراً بالفعل لمظهرها.

كانت حفلة الباليه عرض «بحيرة البجع».. وما إن أطفئت الأنوار، وارتفع الستار حتى انتقلت رونا إلى تلك الليلة، أول عهدها بالباليه، مع ديانا وأمها، حين شاهدت عرض بحيرة البجع لأول مرة، حيث انفتح أمامها عالم كامل من الجمال.. منذ تلك الليلة شاهدتها مرات ومرات حتى أن الموسيقى أصبحت عادية لديها، مع أنها لم تستطع نسيان كيف أحست يومها في نفسها قوة لابتداع الجمال.. تلك الأمسية، كوّنت لها طموحها، وكانت بالنسبة لها نقطة ارتكاز.

إذن.. لماذا لا تكون هذه الأمسية نقطة ارتكاز أخرى؟ لماذا لا تنتزع فرصتها وهي بين يديها؟ لماذا لا تكلم مايلز هذا المساء؟

وجدها مايلز مشغولة التفكير شاردة الذهن. حين كان يكلمها، كانت تبدو وكأنها تعود من بعيد، قبل أن ترد عليه.. ولم تكن تهتم به كثيراً ذلك المساء، وهكذا أصبح يبطء أكثر سخطاً.. حتى خلال العشاء، مع أنها بدت وديّة، حلوة الطباع، إلا أنه أحس أن نصف تفكيرها فقط كان معه، بينما النصف الآخر كان متجهاً نحو شيء آخر.. وهو يعيدها إلى المنزل في سيارته سألها:

ـ لماذا تخرجين معي رأساً حين أطلب منك؟

عادت من تفكيرها لترد مترددة:

ـ لماذا؟.. أنا أخرج معك لأن هذا يعجبني.

ـ هذا ما أصدقه بالكاد.. ما هي الدوافع الخفية التي ذكرتها لي مرة؟

ـ سأقولها لك.. هذه الليلة ستكون ليلة جيدة لي..

ـ لماذا؟

رددت النغم الذي تحفظه عن ظهر قلب:

- لأنني شاهدت «بحيرة البجع» مرة أخرى.. أذكر المرة الأولى التي شاهدتها. كانت تلك ليلة رائعة.

سأل، وكأنه يغار من تلك الليلة:

- ومن كان معك؟

- ديانا وأمها.

- أوه.. حسناً.. ما هي تلك الدوافع الخفية؟

- ستبدو لك وقحة جداً.

- حسناً.. وما هي؟

- أنا مهتمة بمالك.

- تبدو لي هذه وقاحة.. مع أنني أعرف أن هناك ما يبررها في مكان ما. لماذا.. انسة وايل..؟

- أيمكن بالفعل أن أقول لك.. عجباً!

- أظن أن من الممكن أن تقولي لي أي شيء.

- لا.. لست شجاعة بهذا القدر، في الواقع شجاعتي بدأت تخونني الآن.

- تمسكي بها قليلاً، وسارعي إلى إخباري قبل أن يزول ما تبقى منها. لماذا تهتمين بمالي؟

- لأنني أريد القليل منه، سيد مادسون.

- يا إلهي!

- آسفة، كنت أعلم أن هذا سيصدمك.

- إنك تزيدينني فضولاً!

أكملا الطريق بصمت إلى أن توقفت السيارة أمام المنزل الهادىء في الشارع الهادىء.. ثم استدارا معاً لينظرا إلى بعضهما في العتمة الخفيفة.. سأل أخيراً:

- حسناً.. أخرجي ما في نفسك.

- سيد ماديسون..

- لا تبدي يائسة هكذا، لطالما كنت باردة حتى الآن.

- لا.. أبداً، لم أكن باردة.. بل كنت مذعورة كالأرنب..

- ونجحت في إخفاء هذا.. هيا تابعي.

- سيد ماديسون.. لديّ حب شديد لتصميم الثياب. وأظن أنني مصممة ممتازة، وأظنني قادرة على إدارة عمل مستقل لتصميم وصنع الثياب. فأنا في هذا المجال منذ أول عمل لي.. وأعرف كل شيء عنه.. لطالما كان طموحي أن يكون لي عمل خاص... وأشعر بأنني سأنجح.. لكنني لا أملك رأسمالاً.

- هكذا إذن.. فهمت.

بعد صمت قصير أردف:

- إذن، هنا يأتي دوري؟

- أجل.

- كم من الرأسمال تعتقدين أنك بحاجة إليه في العمل؟

ردت متلهفة:

- هذا يتوقف على كيف سأبدأ. فلو بدأت صغيرة، سيكون هذا أكثر سلامة دون شك. لكنني لا أريد أن أبدأ صغيرة جداً.. أريد في الواقع مكاناً جيداً، وبداية عالية... وربما هذا كثير..

- ألا يخيفك التفكير بالمغامرة لوحدك؟

- لا.. بل إن الأمر يثيرني.

- وماذا تعرفين عن الجانب العملي؟

أخبرته كل ما فعلت خلال السنوات العشر المنصرمة. فقد درست المحاسبة، واللغة الفرنسية، وتعلمت كل شيء عن الأسعار والربح والتغطية المالية، ومؤخراً اكتسبت ثقة المدام وقامت بالكثير من عمليات الشراء، وأبرمت عقوداً مثمرة، وأصبحت معروفة في الأوساط الضرورية للعمل..

حين انتهت.. قال لها:

- أنت ما تزالين صغيرة جداً يا وايل.

- أعرف.. لكن الصغر ليس سبباً للإعاقة دائماً.

- خمسة وعشرون!

- أقارب السادسة والعشرين سيد مادسون.

- هذا سن صغيرة لتحمل الكثير من المسؤوليات.

- لكنني أحس بأنني قادرة. أحس بأنني ضائعة الجهود الآن.. أكاد أنفجر بالأفكار، وكلما استخدمتها كلما زاد مكسبي.. أستطيع إلباس الناس بأفضل ما يمكن. يمكنني ابتداع نوع من الجمال في الناس، وسيأتون إليّ لأجل ما ابتدع.. أريد تصميم ملابس المسرح والباليه.. وهذا ليس مجرد وهم فجائي سيد مادسون، لأنني أريده منذ سنوات. أتود الصعود معي لترى بعضاً من تصاميمي؟

رد بنعومة:

- قد تظن صاحبة المنزل أننا في صدد القيام بسوء.

- لا تهتم لها.. هل ستأتي؟

- لا.. بإمكانك المجيء بها إليّ.. وسأفكر بطلبك.

- أرجوك.. أرجوك.. فكر به جيداً، وبإيجابية.

نظر إليها وابتسم:

- لم أكن أحلم أنك تتكلمين كثيراً. لكنني الآن عرفت الزر السحري.. اضغط عليه، فينفتح الباب!

- آسفة.

- لا داعي للأسف. تصبحين على خير رونا.

أمسكت حقيبتها وقفازها، وسار حول السيارة يفتح لها الباب ويساعدها على الخروج، ثم أمسك بذراعها قائلاً:

- سواءٌ أعجبك هذا أم لا، فسأقبلك مودعاً.

وقبلها على خدها بنعومة، ثم راقبها وهي تصعد الدرجات الحجرية

المؤدية إلى المنزل، وتدخل.. لكنه لم يستطع رؤيتها وهي واقفة دون حراك داخل الباب المقفل، تنظر دون أن ترى في ظلمة الردهة.. فكرت:

لا.. لا.. لن تجري الأمور هكذا.. سيكون كل شيء عملياً بيننا أو لا يكون أبداً. يجب أن أوضح له هذا.. يجب أن أوضح له!

التوضيح له لم يكن صعباً كما ظنت رونا.. بعد أن فكّر بالموضوع جيداً، ووصل إلى استنتاج أنها قد تكون استثماراً جيداً لماله، قالت له بشيء من التردد:

- هناك أمر واحد بعد، سيد مادسون، قبل المضي أكثر في هذا.

- ما هو؟

- سأحب.. أتمنى لو أنك..

وتوقفت.. فانتظر يراقبها، لا يساعدها، فجمعت شجاعتها لتكمل:

- أحب كثيراً أن أحصل على تأكيد منك.. أن كل شيء له علاقة بعملنا هذا.. كل شيء بيننا سيد مادسون.. سيكون على أساس عملي صرف.

- ألم أكن عملياً معك حتى الآن؟

- بلى.. وجداً. وأنا ممتنة لك.. لكن من المهم جداً لي أن أحصل على تأكيد منك.

- لماذا أنت مصممة؟

- لأنه أمر مهم لي.

- لماذا؟

- لأنني أريد شق طريقي حسب مبادئي.

- أنت بكل تأكيد فتاة غير عادية رونا.. لكنني سأعطيك عهداً بأنني لن أحاول ملاحقتك لإقناعك بأي عمل ضد إرادتك.. أنت ترغبين أن يكون اتفاقنا محض عملي، وسيكون كما تشائين. وهذا ما سنحافظ عليه طالما أردته.

- شكراً لك سيد مادسون.. وهذا سيكون إلى الأبد.

ابتسم لها ابتسامة جعلتها تحس بأنها ما تزال صغيرة جداً. . وقال:

- إلى الأبد؟ من المدهش رونا، كم أن رغباتنا في الحياة تتبدل دوماً. . الآن وقد سوينا الأمر الشائك، هل سأعاملك كما أعامل شاباً وضعت فيه ثقتي ووافقت على إقراضه مبلغاً كبيراً من المال؟

- وهل تقرض مبلغاً كهذا إلى شاب؟

- أجل. . لقد فعلت هذا من قبل، فلدي الكثير من المال رونا، وأفتش دائماً عن شيء أستثمره فيه.

- كل ما أرجوه فعلاً، أن أثبت جدارتي بهذا الاستثمار.

- أنا واثق من هذا. ويجب أن لا تترفعي عن طلب النصيحة مني، أو تناول العشاء معي أحياناً، لمناقشة أعمالك.

- سأبقى دائماً سعيدة بنصائحك، وبالعشاء معك سيد مادسون. . وأنا فعلاً شاكرة جداً لك لكل ما فعلته لي. . فمن دون رأسمال كان انطلاقي مستحيلاً. . وسأعمل كالعبد.

- لا أريد هذا، ولا أريدك أن تكوني مستعبدة.

- لن يكون استعباداً، ولا عبودية. . لأنني سأحب كل لحظة من عملي. . .

لكنها لم تحب كل لحظة من عملها. . فقد كان هذا توقعاً مستحيلاً. . فقد أمضت ليال من الذعر، وأياماً من الخوف والقلق، مشاكل ومحن غير متوقعة ولا فكرت فيها، كان معظم العاملين معها غير معروفين منها، وبينهم كانت فروقات مؤسفة اضطرت لتسويتها. كان لديها رغبة مبالغ فيها في إرضاء كل زبونة جديدة، وتضخيم أقل تذمر إلى درجة المأساة. مئات المرات في الأشهر الأولى أقنعت نفسها بالبقاء هادئة، وأمسكت بحزم بخناق الذعر المتصاعد، ورفضت أن تذهب إلى مايلز مادسون طلباً للنصيحة.

كان يراقبها. . ولاحظ أنها خسرت الكثير من وزنها. لكنه لم يقلق. لاحظ كذلك أنها تتحمل أعباءً لم تتركه يشاركها بها، لكنه لم يعرض

المساعدة، إلا حين كانت تسأله. أخرجها إلى العشاء، أصغى إلى تقاريرها، أعطاها النصح حين طلبته، وأعجب بشجاعتها. . هكذا شقت طريقها عبر الأشهر الأولى المثيرة، مع تدفق ثابت للزبائن الراضين عن عملها.

قالت له، بعد تناول العشاء معاً في شقته، ذات ليلة من ليالي الشتاء:

- أنت عون رائع لي في مجيء الزبائن. نصف النساء يأتين عبرك.

- لا بد أن المدام تشتمني!

- أظن هذا. . وأظنها لن تسامحني أبداً. مع أنها قالت، إنها توقعت هذا منذ سنوات. ولن تسامحني على أخذي رستون من عندها، مع أنها جعلت منها امرأة بائسة.

- تبدو لي رستون امرأة أقل من عادية، ولست أدري لماذا تضعين فيها كل هذه الثقة.

- أوه. . إنها عاملة ممتازة مايلز. صحيح أن لا شجاعة لديها، لكنها عاملة ممتازة. . كنت أراقبها حين كنا عند المدام، وعملنا معاً لسنوات.

- رونا. . رونا. . أنت جيدة في إدارة الناس، انظري كيف أدرتني بشكل رائع في بداية تعارفنا!

ابتسمت له بإشراق:

- وهذا ما فعلته، فإني امرأة فظيعة كمديرة.

راقب ابتسامتها مفكراً: يوماً ما، سأقبّل هذه الابتسامة عن فمها حين يزعجني مزاحها. . وأحس في خياله بدفء فمها. . . ولاحظت رونا تجهمه، فوقفت تتجه إليه، يداها ممدودتان نحوه.

- مايلز. . لم أقصد ما فهمت. . أنا لن أحاول إدارتك. أنت أفضل بكثير مني. . كنت طيباً معي طوال الوقت.

شاهدها تتقدم نحوه. . وأمسك يدها في يده ليهزها قليلاً:

- أتمنى أن يكون كل ما أفعله لك طيباً يا رونا.

كانا يفكران بطريقتين مختلفتين. . رونا تتنعم بأمان زائف أمام

التصرف الذي لا تشوبه شائبة، والذي فرضه مايلز على نفسه لأشهر.. لظنه أنه بهذا يقترب من حافة تجربة جديدة، تجربة حادة، حلوة، حاسمة، لن يتخلى عنها ولو مقابل ممالك العالم كله.

* * *

مع أن معظم العام الأول كان عملاً شاقاً، لكن كانت هناك دائماً نقاط مشوقة بدا أنها تجعل العمل الشاق ما يستأهل المشقة.. كان هناك الاهتياج المبهر للأنفاس لعرضها الأول، وحملة الانشغال والتشوش قبله، ثم الهدوء بعده.. وجدت سعادة محددة في اختيار أية تصاميم تصنعها لذلك العرض.. ومَن من العارضات ستعرض أي تصميم لها.. وكان لها ميزة الخبرة في عملها الطويل مع المدام. فقد ساعدتها في تنظيم عرض الأزياء من قبل، وتعرف معظم العارضات، المقاعد المذهّبة التي طالما رأتها منظمة في صالون المدام، مصفوفة الآن في صالونها. والذعر الذي يشل أعصابها خوفاً من عدم حضور الناس، كان يتلاشى بالتدريج بامتلاء المزيد والمزيد من هذه المقاعد، إلى أن أصبحت جميعاً مشغولة، ولم يبق مكان سوى للوقوف.. وتشكر الله أنها طالما كانت ساحرة للنقاد صحافي الأزياء، في الأيام التي لم يكن هذا مهماً لها، مع ذلك كانت تهتم بهم وتستقبلهم أفضل استقبال لمصلحة المدام. الآن كلهم مستعد لأن ينظر إلى عرضها باهتمام، ولأن يكتب فيما بعد عنه بكل تفصيل.

فيما بعد، وفي وقت متأخر من أمسية العرض، أخذها مايلز للعشاء.. وقال لها:

ـ لقد كان المعرض نجاحاً لا نظير له.

ـ أتظن هذا؟

ـ دون شك.. وأظنه سيضعك على خريطة الشهرة.

جاء العرض بطلبات كثيرة.. واضطرت رونا إلى استخدام المزيد من العاملين.. صنعت ملابس زفاف، صنعت كذلك ألبسة رياضية، وملابس سهرة أنيقة، وملابس عمل رائعة.. كانت تقضي معظم ليلها في رسم

التصاميم، والتصاميم، والتصاميم. قالت لديانا وهي تقضي نهاية أسبوع نادرة في الريف:

ـ حين أشعر أنني استقريت بالفعل، سأفتح محل مجوهرات، لأنني أريد تصميم مجوهراتي الخاصة والاكسسوار التابع للملابس.. أنا أفعل هذا الآن، لكن بطريقة بسيطة.. أحياناً أضطر للتفتيش عما أريد. وأعتقد أنني قادرة على تصميم وصنع الحليّ لنفسي.. ولست أرى لماذا لا يكون مشروعاً ناجحاً.

ـ وما رأي مايلز؟

ـ لم أذكر له هذا بعد.. يبدو أنه سعيد بتقدمي حتى الآن، وأظنني كنت مفاجئة له. أظنه كان يتوقع أن يخسر ماله، لكنني بالطبع سأعمل جاهدة إلى أن أعيده له.

ـ وكيف كان له أن يخمّن كم أنت موهوبة.. أو كم أنت قادرة على استخدام مواهبك؟

ـ أوه.. ديانا.. أنت دائماً متحيّزة لصالحي.. منذ البداية.. وأنا أتساءل ماذا كنت سأفعل لولاك؟ حتى منذ اليوم الأول.. أتذكرين؟ لطالما التقطت الدبابيس والدبابيس.. مئات الآلاف من الدبابيس! وظننت أنني لن أتجاوز هذا العمل.. لكن حين تفاخرت أمامك أنني في يوم ما، سيكون لي عملي الخاص.. صدقتني!

ـ أرأيت كم أنني كنت محقة.. لطالما رأيت في أفكارك قفزة إلى الأمام.. بينما كنت أنا المتخلفة وأظنني ما زلت هكذا.

ـ أنت سعيدة أكثر مما تدركين.. وتعرفين هذا. إنه نوع من السعادة لا اعتقد أنني سأعرفه يوماً. فأنا باردة، ومن المؤسف أن أكون هكذا، لكن ما باليد حيلة.. أحياناً أضيع نفسي في الموسيقى، وربما في الباليه.. لكن ليس بإقامة العلاقة مع الناس إطلاقاً.

ـ هذا لأنك ببساطة لم تلتقي بعد الشخص المناسب. في مكان ما من العالم، في وقت ما ستجدين من يغير كل هذا.. وهذا ما آمله على أي

حال، العمل قد يكون مرضياً ومربحاً، ولكنه ليس بديلاً عن الحب.

ضحكت رونا وقالت ساخرة:

ـ بووه..!

ـ اضحكي.. ولكنني خبيرة.. أتذكرين؟ لقد وجدت الحب الذي رفع حياتي إلى مستوى مختلف. وأنا أفكر أحياناً في ما إذا كان مايلز مادسون قادراً على توفير هذا لك..

ضحكت رونا مرة أخرى وقالت:

ـ أوه.. مايلز!

الفكرة تبدو مستحيلة ومضحكة.

ـ أنت ترينه كثيراً.. دائماً تتناولين العشاء معه. تذهبين إلى شقته، ويقدم إليك النصح دائماً.

ـ مايلز لا يعرف نوع الحب الذي تتكلمين عنه.. وتعرفين نوعية النساء اللواتي كن صديقاته ومرافقاته. لو لم يكنّ جميلات لكن مذهلات، أو مبدعات، يلبسن أفخر الثياب ولو أن الفضل في هذا له، ويضعن أفخم المجوهرات، والفضل له أيضاً. وكل ما يهمهن أنهن يرضين مايلز.

ـ حسناً. إذا لم يكن مايلز هو المطلوب، فأرجو أن يكون هناك شخص آخر. والآن، ابدأي بتحميص التوست بينما أحضر الشاي.. فادوارد سيصل في أية لحظة، ربما يحسّ بالبرد ويكون جائعاً.

هكذا جلست رونا أمام النار المشتعلة تحمص الخبز.. سعيدة بدفء الصداقة التي تلف المكان. لكنها تشك في أن تجد أبداً هذا النوع من الحب الذي تتحدث ديانا عنه، وكانت مصممة على أي حال مهما كان عدد الرجال الذين سيمرون في حياتها، أن ما من واحد منهم يجب أن يقف بينها وبين عملها.

* * *

٣ ـ دقات على باب القلب

سارت ديانا بين ادوارد وصديقه مايكل بيتلي، فوق رصيف محطة القطارات الريفية الصغيرة، قبل دقائق من وصول قطار لندن. كانت المحطة خالية، ونسيم كسول كان يحرك بلطف الأزهار النامية في صفوف متناسقة في حديقة المحطة.

سأل مايكل وهم يذرعون الرصيف جيئة وذهاباً:

ـ أي نوع من الفتيات هي رونا هذه التي جئنا لملاقاتها؟

رد ادوارد:

ـ إنها صديقة طفولة ديانا وصباها.. كنت أفكر بأن أتزوجهما معاً بدل أن أفرقهما، لكن قانون هذه البلاد لا يسمح!

دست ديانا يدها في ذراع زوجها وقالت:

ـ أستطيع التفكير بمن لن يسمح بهذا أيضاً.

سأل مايكل:

ـ هل هي بلطف ديانا؟

قال ادوارد: لا.

لكن ديانا كانت تقول في نفس الوقت:

ـ نعم.. لكنها مختلفة.

سأل مايكل:

ـ كيف؟

ـ حسناً، إنها جميلة وأنا بشعة، مذهلة وأنا سمراء وصغيرة الجسم، ذكية وأنا بلهاء. كما أنها أنيقة بشكل مثير، وترى أنني لست هكذا. على أي حال، رونا محبوبة، وستعجبك وإذا لم تكن متعبة وأرهقها العمل،

سأدعك ترافقها إلى حفلة الرقص الليلة.

تدخل ادوارد:

ـ يمكننا الذهاب جميعاً.

قالت ديانا:

ـ إذا كنت تظن أنني سأرقص وأنا في هذا الشكل والحجم، ففكر مرة أخرى.. لا.. أنت وأنا سنبقى في المنزل ادوارد.. مايكل سيرافق رونا.

كانت ديانا تنتظر مولودها الأول خلال شهر أو اثنين.. وسرعان ما قال مايكل:

ـ ها قد وصل القطار.

وقف منتظراً خلف الزوجين مع شيء من الفضول لرؤية الفتاة التي وصفت له بأنها جميلة، مذهلة، وذكية. فوصف الناس لأصدقائهم يرتكز غالباً على الانحياز.. حتى أنه كان مستعداً لرؤية ما هو أقل من وصف ديانا. لكن، حين تقدمت رونا نحوهم، بابتسامتها الدافئة البهيجة، كاد قلبه يقفز من مكانه.. يا إلهي ما هذه الفتاة! وتقدم نحوها ليمسك بيدها بينما كانت ديانا تقدمهما إلى بعضهما. وكانت رونا ترتدي ثياباً خاصة لعطلة نهاية أسبوع في الريف..

علقت ديانا على ملابسها بإعجاب:

ـ إنها ليست الطريقة التي يرتدي بها أهل الريف.. بل ما يتصوره مصممو الأزياء.

كانوا يتجهون إلى سيارة ادوارد، فقال مايكل وهو ينظر إلى رونا التي تسير إلى جانبه:

ـ لفقد فوضتني ديانا أن أرافقك إلى الرقص الليلة.

رفعت نظرها إليه.. على الرجل أن يكون طويلاً بما يكفي لأن ترفع رونا نظرها إليه.. مايلز كان أطول منها ببضع إنشات، أما هذا الرجل فأطول بكثير، ووسيم جداً، ويبدو لطيفاً كذلك. قالت:

ـ ربما أكون قد استعدت نشاطي بحلول المساء.

توقفوا عند السيارة، فتنفست رونا الصعداء وقالت بإعجاب:

ـ لطالما كان لديانا وبيتها تأثير منعش رائع عليّ. وهذا الهواء.. أوه.. إنه منعش.. تحس أن لا أحد استخدمه قبل أن يصل إليك.

قال ادوارد بإشفاق ساخر:

ـ يا للطفلة المسكينة القادمة من زواريب لندن..! توقفي عن تنشق الهواء واصعدي إلى السيارة، لتتمكن جميعاً من الحصول على بعض الشاي المنعش من يدي ديانا.

هكذا، ذلك المساء رافق رونا رجل جديد.. كانت قد احتجت بأنها ستكون سعيدة تماماً بقضاء أمسية حميمة قرب النار، لكن الجميع ضغط عليها للذهاب إلى الرقص، فقبلت بالذهاب وارتدت فستاناً من المخمل الناعم بلون الفطر، بسيط الزي، حظي بنظرات متكررة من كل من رآه.. وكان مايكل فخوراً بمرافقتها.

قادها إلى أريكة ضخمة قبيحة المنظر فيكتورية الطراز:

ـ بالرغم من بشاعة مظهرها إنها مريحة جداً.

جلسا معاً، ولتؤكد رونا أنها فعلاً مريحة. أضافت:

ـ حتى أنني لا أرغب في النهوض للرقص.

ـ وما الذي جعلك متعبة هكذا؟

ـ المبالغة في العمل، كما أعتقد.. كنت أعمل دون توقف منذ زمن بعيد حتى أنني لو لم أحصل على هذه الإجازة لأصابني الانهيار.

ـ وبماذا تعملين؟

ـ أوه.. كنت أعتقد أن ديانا شرحت لك هذا قبل أن أصل.

تابعت تقول له ما تعمل.. ولأنه كان متعاطفاً جداً، يسأل الأسئلة الصحيحة ليجعلها تستمر في الحديث، وجدت نفسها تتحدث باستمرار كما لو أنها تتحدث إلى ديانا، لكن ليس لأي شخص آخر بكل تأكيد.

قال مايكل أخيراً:

ـ يبدو لي أنك حققت العجائب بالنسبة لمن هن في مثل سنك ومن

الرائع أن تقومي بالعمل الوحيد في الدنيا الذي يثيرك ويرضيك.

ـ ألا تفعل أنت هذا؟

ـ بلى.. كأمر واقع.

ـ والآن أخبرني ماذا تعمل!

نظر إليها لحظات ثم تنفس عميقاً:

ـ أنت تقريباً تسلبيني القدرة على التفكير والكلام.

ـ أوه.. يا عزيزي!

ـ وأظن أن هذا هو نوع الكلام المداعب الذي يقوله كل الرجال لك.

ـ لا.. ففي الواقع، وقد يدهشك هذا، لا شأن لي مع الرجال.

ـ إنه يدهشني كثيراً.. ولا بد أن هذا هو خيارك.

ـ أظن السبب هو أنني مشغولة جداً.. وأنني مهتمة أكثر بأشياء أخرى. لكن، أترى، ها قد عدنا نتكلم عني، وأنا أريد سماع شيء عنك.

هكذا أخبرها عن نفسه.. إنه مزارع، مثل ادوارد، أمه ماتت منذ سنوات، وتزوج والده ثانية، امرأة أصغر منه بكثير، مما دفعه للظن بأنهما قد يرغبان في البيت لوحدهما، وترك المزرعة ليشتري لنفسه مزرعة بمال تركته له أمه، على بعد عشرين ميلاً من مزرعة ادوارد، وهو مستقر فيها، وينفذ كل شيء كما يريد.. وأردف:

ـ يجب أن تأتي لتزوريني هناك.

ـ سأحب هذا. لكنني أحذرك، فأنا لا أعرف شيئاً عن المزارع.. ولم أزر واحدة قبل أن أزور ديانا هنا.. أوه.. يمكن أن أكون قد مررت بمثلها كالآخرين، لكنني لم أقم في واحدة من قبل..

ـ سأكون سعيداً في استقبالك، وأظنك ستعجبين بمزرعتي... كان يجب أن يكون فيها زوجة لها أفكارها الخاصة.. لكن المنزل جميل، والمطبخ عالم رائع من الكفاءة.. والمناظر حقاً شيء رائع.. اسمعي.. أيمكن أن نذهب معاً في الغد؟ سأمضي ليلتي عند إدي، وسآخذك معي.

ـ هذا يعني أننا سنتجاهل ديانا بشكل مخجل.

ـ أنا واثق أنها ستوافق.

رقصا معاً مرات ومرات.. وقام مايكل بواجبه في مراقصة ابنة جاره وأخريات، بينما اغتنم الشبان الفرصة لمراقصة رونا، لكن، في أسرع وقت ممكن عادا إلى بعضهما.. كان له طريقة مميزة في تمهيد الطريق أمامهما. راقبته وهو يتحدث إليها، وتبادر إلى ذهنها أنه يمثل التناقض القوي مع مايلز، في المظهر والتصرف. والشخصية.. كان منفتحاً، صريحاً وساحراً، بينما مايلز متحفظ متراجع، غامض. كان يكلمها بإعجاب ظاهر، بينما يحافظ مايلز دائماً على تصرف ساخر نحوها.. أحست بالراحة معه، لكنها أدركت بدهشة، أن وجودها مع مايلز لم يكن مريحاً دائماً.. وأحست بالانجذاب القوي لمايكل.

أعادها إلى المزرعة، حيث اكتشفا أن ديانا وادوارد نائمان، لكنهما تركا لهما بعض السندويشات والقهوة، فسخنت رونا القهوة، وحملتها إلى غرفة الجلوس، حيث جلسا يتناولان عشاءهما المتأخر، ويتحدثان بكسل أمام نار المدفأة التي أخذت تخمد.. إلى أن أعلنت رونا أخيراً أنها بحاجة للنوم. فوقف مايكل على الفور قائلاً:

ـ أنت متعبة جداً.. وأنا أبقيتك مستيقظة إلى وقت متأخر.. لكنني استمتعت بالأمسية كثيراً حتى أنني تمنيت أن لا تنتهي.

سار معها إلى الباب وقالت له:

ـ وأنا استمتعت كذلك.. تصبح على خير.

ـ سأبقى قليلاً لأقفل الأبواب وأطفىء الأنوار. تصبحين على خير رونا.

مدت له يدها، فأخذها بين يديه، وساد صمت غريب استمر طويلاً، ثم جذبها إليه بلطف.. وكان أمامها وقت طويل لتنسحب لو أرادت، فهو لم يكن يستعجلها، لكنها لم تبتعد، إلى أن أطبقت ذراعاه حولها في عناق حار، لتغمض عينيها وترتاح بين ذراعيه.. ثم انسحبت بلطف عنه،

وابتسمت وهي تضغط على يده بيديها، واستدارت تصعد السلم.

في الصباح، استلقت في فراشها، تصغي إلى كل الأصوات غير المألوفة للمزارع والريف، تتساءل ماذا دهاها. ما من أحد جعلها تحس بهذا الرضى وبمثل هذه السعادة منذ سنوات.. فقد أحست براحة رائعة بين ذراعيه وهو يضمها.. لطالما أبعدت الرجال عنها، ولم ترغب يوماً في الاقتراب من أي واحد منهم.. لكن مايكل مختلف.. له شخصية محببة غير أنانية تجذب الناس فوراً إليه. وأرادت رؤيته ثانية.. فنهضت لتنزل إلى الطابق الأرضي، وقابلتها ديانا قائلة:

ـ كنت سآتي إليك بالفطور إلى السرير، ظننتك ستكونين نصف ميتة هذا الصباح.

ردت رونا عليها:

ـ أنت من يجب أن تحصل على فطورها في السرير.

ـ لا.. ليس أنا.. فأنا أفضل النهوض.. ولا تحاولي إقعادي.. لأنني سأبقى طبيعية، وبصحة جيدة حتى آخر لحظة.

ضحكت رونا، فأضافت ديانا:

ـ إذا أحببت الذهاب إلى مخزن الغلال والمجيء بمايكل، فسأحضر المزيد من البيض قبل أن تصلا.

هكذا ذهبت رونا إلى مخزن الغلال.. في داخله المعتم، الذي لا تضيئه سوى أشعة شمس مغبرة، وجدت مايكل.. فقالت:

ـ صباح الخير.. أرسلتني ديانا لأقول إن الفطور جاهز.. ولآخذك معي.

تقدم إليها بسرعة، وهو ينظر إلى وجهها، ويحاول في لحظة سريعة أن يقرأ ما إذا كانت نادمة على ليلة أمس.. لكنها ابتسمت له بإشراق، ومدت يدها إليه قائلة:

ـ تعال.. أحس بشهية فظيعة هذا الصباح.

أمسك يدها، لكنه لم يتحرك نحو الباب.. وقفا ينظران في عيني

بعضهما، ثم أحنى رأسه وقبّل خدها. وقال بصوت خفيض:

ـ أنت جميلة.

ـ وجائعة...

اتجهت إلى الباب، وبدت جسداً نحيلاً في أشعة الشمس، ثم انتظرت أن ينضم إليها.. وقالت وهما يتجهان إلى المنزل معاً:

ـ أنت رجل رائع يا مايكل.

ـ لكنك لا تعرفينني جيداً لتكوني واثقة.

بعد الغداء، أخذها لترى مزرعته، لكنه أعادها إلى منزل ديانا في وقت مبكر من المساء، كذلك أوصلها إلى المحطة لتأخذ آخر قطار متجه إلى لندن.

سألها:

ـ هل ستأتين إلى هنا قريباً؟

ـ لا أستطيع مايكل.. فأنا لا أجيء إلى هنا دائماً.. أنا فعلاً مشغولة.

ـ إذن، أيمكن أن أجيء بنفسي لرؤيتك؟

ـ لا يجب أن تهمل مزرعتك الرائعة لأجلي.

ـ لديّ العمال هناك.. ولن ينهار العمل لو قضيت ليلة أو اثنتين أحياناً في لندن.. أيعجبك أن آتي؟

ردت بصراحة:

ـ أجل.. سيعجبني هذا جداً.

ـ إذن سآتي بكل تأكيد.. وسأتصل بك أولاً لأتأكد أنك لست مشغولة.. أعطني رقم هاتفك.

أعطته الرقم، ولم تندهش حين استخدمه خلال الأسبوع.. وجاء ليأخذها من غرفة العرض.. ولاحظت أنه يرتدي ملابس السهرة الرسمية، فقالت:

ـ سأضطر إذن للذهاب إلى المنزل لأغيّر ملابسي. لكن ادخل أولاً لترى مكان عملي.

أدخلته لتريه المبنى، وظهر عليه التأثر، فقالت: «هل أعجبك؟»

ـ أنا محتار.. بل يغمرني الارتباك حقاً.. أنت رائعة.

ضحكت:

ـ إنك رائع جداً بإرضاء غروري.. والآن خذني إلى المنزل لأغير ملابسي، لنذهب إلى مكان لطيف لتناول العشاء.. أتساءل عمّا قد تقوله السيدة كيزلر؟

ـ ومن هي السيدة كيزلر؟

هكذا وجدت نفسها تعطيه ملخصاً قصيراً عن حياتها. ثم أكملت وهي تفتح باب المنزل وتأخذه إلى شقتها:

ـ أنت رهيب في جعلي أتكلم.

تركته مع فنجان قهوة سريعة، بينما دخلت لتغير ملابسها، ثم خرجت إليه بابتسامة. ففتح ذراعيه إشارة دعوة، لتدخل بينهما ببطء.. وتعانقا بحب ملتهب بينهما، وسعادة ببعضهما، ونوع من السرور كان جديداً على رونا، ثم تراجعا.. ينظران إلى بعضهما بابتسام وسعادة.

سألها حين عادا إلى السيارة:

ـ إلى أين تحبين أن تذهبي؟

ذكرت أماكن تعرفت إليها عبر مايلز، واختارا مكاناً هادئاً، حيث سيتمكنان من التحدث بهدوء.

وجدا أن لديهما الكثير ليقولاه لبعضهما.. والتجانس بينهما أذهل رونا.. لطالما أحست إنها غير قادرة على الاسترخاء، مع ذلك تركت كل شيء آخر معه، دون أن تفكر به، وتمتعت بالجلوس معه، تنظر إليه، وتصغي لكلامه.

أخيراً قال لها:

ـ هناك رجل في المكان ينظر إليك منذ وصوله. أتعرفينه رونا؟

استدارت من فوق كتفها، على الفور اتسع فمها بابتسامة.

ـ أوه.. أجل.. هذا مايلز.

لوحت لمايلز بيدها، فانحنى لها مستجيباً. فأشارت إليه لينضم إليهما. فاعتذر ممن كان معه، وتقدم إلى طاولتهما.

قالت رونا لمايكل قبل أن يصل مايلز:

ـ يجب أن تتعرف إلى مايلز، ما كنت سأصل إلى ما وصلت إليه من نجاح لولاه.

قدمتهما لبعضهما، وتبادل الرجلان التحيات المهذبة. ثم انصرفا إلى تقييم بعضهما بعضاً.. وهي تراقبهما، كانت رونا تفكر كم هما مختلفان. ولاحظت بدهشة أنهما لم يكونا منجذبين بلطف إلى بعضهما.. فابتسامة مايكل الودودة، كانت تكبحها ابتسامة أكثر تجهماً.. أما ابتسامة مايلز فكانت ساخرة تماماً.. أحست دون ريب بالراحة لعودة مايلز إلى أصدقائه.. وبالسرور لأنه لم يدعها ومايكل للذهاب معه.

بعد هذا، لجأ مايكل إلى الصمت.. إلى أن وبخته رونا على صمته.. فقال:

ـ كنت أتساءل: لماذا لم يكن بإمكانك الوصول إلى حيث أنت الآن دون مايلز؟

ـ أوه.. هذا سهل التفسير.. لقد موّلني.. أقرضني مبلغاً كبيراً من المال كي أنطلق لوحدي.. وقد أقرضني المبلغ بفائدة منخفضة جداً.

رد متجهماً:

ـ أتصور هذا.

نظرت إليه لحظات، ثم ابتسمت بلطف:

ـ لقد أقرضني المبلغ، دون أية شروط.. وبدون أي ارتباطات من أي نوع.

ـ لا يبدو لي من النوع الذي يفعل هذا.

ـ لكنه فعل.. ألا تصدقني؟

ردّ متبرّماً:

ـ بلى.. بالطبع أصدّقك.

لكن، حين أعادها إلى شقتها، وضمها بين ذراعيه قال:

ـ كان يجب أن أكون أكثر حصافة لكي أصدق كلامك عن الرجال.

ـ هذا صحيح مايكل.. ومايلز رجل مختلف.. اجتماعياً لا علاقة لي بالرجال، لكنني بالطبع أقابله كثيراً خارج نطاق العمل.

رد بشيء من الغيرة الظاهرة:

ـ الآن، أفسدتِ علي راحة بالي.. أيضمك مايلز هكذا؟

ـ يا للسماء.. لا! أبداً.. أبداً! وهذا في الواقع جزء من اتفاقنا.

ـ لا بد أن الرجل مجنون.

حين شاهدت مايلز مرة أخرى كان ذلك في يوم مجهد لها.. اتصل بها في نهاية يوم عمل ليخبرها أنها ستتناول العشاء معه، وردت بأنها متعبة جداً بحيث أنها لا تستطيع تناول العشاء مع أحد.. فرد عليها ببرود:

ـ يجب أن تأكلي.

ـ لا.. لست مضطرة حتى للأكل. أريد فقط الذهاب إلى البيت لأرتاح.

ـ هذه سخافة.. إنك تبالغين في العمل ولا تأكلين. سأمر عليك ونذهب للعشاء في شقتي، كي لا تضطري لتغيير ملابسك.

حين أجلسها بارتياح في غرفة جلوسه، تابع محاضرته:

ـ هذا غير معقول رونا.. أنت ترهقين نفسك.. يجب أن تحصلي على عطلة في هذه المرحلة، وإلا ستصابين بانهيار عصبي.

ـ هراء! هل أبدو لك وكأنني أقترب من الانهيار؟

ـ تبدين متعبة جداً.

ـ حسناً.. لقد وعدت نفسي بعطلة. لقد انتهت المعارض وزبوناتي يغادرن لندن إلى أماكن عطلاتهن، لذلك من الأفضل لي أن أسرع هاربة أنا كذلك.

ـ وإلى أين؟

ـ إلى عند ديانا، كما أعتقد، لأنها تصرّ على أن أذهب إليها.. مع

أنني أحس أنني لا يجب أن أذهب لأنها ستنجب طفلها في وقت قريب.

ـ بكل تأكيد يجب أن لا تذهبي. لديّ فكرة أفضل. ستذهبين معي إلى الفيلا في فلورنسا.

ـ معك.. مايلز؟

ـ معي، ومع نصف دزينة من الأصدقاء وكلهم أرفع من السؤال عزيزتي، فلا تخافي. أم تفضلين الريفيرا؟ كلاهما حارّ في مثل هذا الوقت من السنة.. لكنني ما كنت لأفكر أنك قد تغادرين لندن في وقت أبكر من هذا.

قالت رونا ببطء:

ـ لو أردت الذهاب إلى أي مكان، لفضّلت فلورنسا.

صمتت تفكر بالروائع الموجودة في فلورنسا، والأشياء التي طالما أحبت أن تراها منذ سنوات عديدة، وأحست بشوق مفاجيء للذهاب لرؤيتها الآن.. وقالت:

ـ مايكل أنجلو يضفي طابعه في كل مكان.. يا له من إغراء! وكل تلك الأشياء الجميلة الهادئة التي يصنعها الإيطاليون في عالم الأزياء: الجلد والتطريز، والقش.. أوه.. أجل مايلز.. سأذهب معك إلى فلورنسا.. إذا كنت تعني ما تقول.

ـ حسناً.. لقد أوضحت جيداً أنك لست قادمة لحبك سواد عيني.. اتفقنا إذن. سأهتم بحجوزات السفر وما إلى ذلك.. أعتقد أن جواز سفرك صالح. رتبي أمورك وسأعلمك عن الموعد الذى سأحصل فيه على التذاكر.

ـ ومن هم الضيوف الآخرون؟

ـ أعجب لسؤالك. ألمجرد التأكد من وجودهم؟

سألته بحدة:

ـ لماذا أنت ساخر هكذا على الدوام؟

ـ لأنك يا عزيزتي رونا، شفافة جداً.. سأدعو هارت ولويز

مورتجور، كايت هاربل، ورجل آخر، لا أدري بعد من يكون، وأي شخص آخر أفكر أنه قد يزيدنا تسلية.

وجدت رونا أن إثارتها تشتد كلما تسارعت الأيام.. ستقفل الدار تماماً لأسبوعين، وتعطي كل العاملين فيها عطلة..

قامت رونا بالرحلة مع مايلز لوحدهما، ولم يعلق مايلز بشيء على غياب المدعوين الآخرين. أما رونا فقد كانت أكثر كبرياء من أن تسأل. لاقاهما في فلورنسا سائق أنيق دائم الابتسام مع سيارة أكثر أناقة منه، وقال مايلز:

ـ لن نمر في المدينة، بعد سفرنا الطويل.. سنعود إليها بعد أن ترتاحي، وتكوني منتعشة.. سنذهب فوراً إلى الفيلا.

شقت السيارة بهما الطريق عبر زحام سير لا يصدق، وسرعان ما أصبحت السيارة على الطريق الملتوية الصاعدة، ثم استدارت السيارة إلى طريق ضيق ملتوٍ أبيض مغبر، يتفرع منه طريق خاص للفيلات المنتشرة هناك ذات الأبواب الضخمة. استدارت السيارة إلى أحد تلك الطرق الخاصة لتنحدر عبر منحدر حاد إلى الفيلا. فتح مايلز الباب لرونا، بينما تعامل السائق مع الحقائب.

ـ هذه مؤخرة الفيلا.. والمقدمة أكثر جمالاً، تطل على منظر رائع.. ادخلي لتتفرج عليها.

دخل معها إلى ردهة باردة عريضة، مرصوفة برقائق قرميدية، وعبرها إلى غرفة جلوس طويلة لها نوافذ عريضة، مفتوحة على منظر مذهل لفلورنسا في الأسفل.. وقال مايلز شارحاً:

ـ من الممكن ترك النوافذ مفتوحة في مثل هذا الوقت من النهار، فالفيلا مبنية بجناحين تصلهما هذه الغرفة معاً. هكذا نحصل على الظل صباحاً ومساء، وعلى الشمس في منتصف النهار فقط. وهذه تتولى أمرها شجرة الكرمة التي تظلل الشرفة.

أخرجها عبر الأبواب الزجاجية لترى الشرفة والعريشة.

خرجا من تحت ظل العريشة إلى الشمس، التي صبت حرارتها عليهم بقوة، ووقفا هناك لفترة لتتمكن رونا من التمتع بالمنظر.. تحتهما تماماً حديقة منحدرة بمصاطب، تنحدر بسرعة إلى بساتين زيتون، تمتد من الفيلا باتجاه فلورنسا. في حديقة مايلز، كانت ألوان البرتقال البراقة تلمع وسط عتمة أوراقها الداكنة.. فيلاّت أخرى، كانت تنتشر على جانب التل، تحتوي على أشجارها الخاصة، والسرو الإيطالي المذبب الطويل، وبعض أشجار الصنوبر والسنديان الدائم الخضرة... تحت كل هذا كانت تبدو فلورنسا نفسها، مدينة المباني البيضاء والصفراء، والسقوف الحمراء.. وتنهدت رونا بسعادة:

ـ أوه.. مايلز، ما هذا المكان السماوي؟

استدارت تنظر إلى الفيلا بجدرانها الكريمية اللون وسقفها القرميدي الأحمر. ثم إلى أثاث الحديقة الموضوع على التراس، وإلى أشجار البرتقال بصفوفها المنتظمة، وإلى مجموعات الزنابق التي تتوج الأزهار كل فرع منها.. ثم عادت تنظر إلى مايلز.. تفكر كم كانت حياتها مختلفة، لو أنها وقعت في حبائله منذ بداية تعارفهما.. وأحست بالسعادة لوجودها هنا مستقلة، ضيفة في منزله، وسيدة نفسها.

قال مايلز:

ـ العشاء سيكون جاهزاً بعد ساعة.. فانزلي في وقت مبكر لتناول المرطبات.. والآن تعالي أريك غرفتك.

أدخلها المنزل، وصعوداً على سلّم حجري الدرجات مؤدٍ إلى الطابق الأول.. فتح لها باب غرفة جميلة، ثم تركها. فدخلت تستكشف الغرفة لوحدها.. غرفتها كانت أفخم من أية غرفة أقامت فيها من قبل، فيها حمام داخلها يوفر لها كل وسائل الراحة والزينة بسخاء مبالغ فيه.. دخلت خادمة شابة، خجولة، تتكلم الإنكليزية بنبرة إيطالية، لتساعدها على إخراج ثيابها من الحقائب. ووقفت رونا عند النافذة تنظر إلى الخارج، وإلى الخادمة التي كانت تعمل بسرعة وصمت.. وأخذت تفكر برونا

وايل، التي هجرتها عائلتها، والتي بدأت تشق طريقها مبتدئة بالتقاط الدبابيس، وبرونا وايل، الأنيقة الملبس والتي طارت إلى هنا من لندن مع مايلز مادسون.

ارتدت فستاناً أبيض بسيطاً للمساء. مفصل بطراز إغريقي. حين نزلت لتنضم إلى مايلز، وقف دون حراك يتفحصها للحظات طويلة.

ـ لا شك في هذا مطلقاً رونا. لك ميزة خاصة. والفستان رائع.

ـ شكراً لك.

لكنها لم تستطع منع نفسها من أن تفكر بأن مايكل كان سيرى المرأة الأنثى في الفستان، وليس الفستان وحده.

جاءها مايلز بكوب عصير، وتمشيا إلى الخارج نحو التراس. لم يكن أحد من المدعوين قد وصل بعد، مع ذلك لم يذكر أي منهما هذا الأمر. ومضى على حديثهما العادي بضع دقائق، حين سمعا صوت سيارة تقترب، ثم انفتحت الأبواب، ودخل شخصان إلى غرفة الجلوس وانضما بسرعة إلى مايلز ورونا على التراس.

ـ مايلز حبيبي! لقد عدنا لنرحب بك. لقد ذهبنا إلى سيناء، نتوقع مكاناً صغيراً هادئاً، ويا عزيزي كم كان المكان مكتظاً! سامحنا. أوه. رونا، تبدين رائعة، هادئة ومرتاحة، يجب أن أسرع لأغير ملابسي للعشاء على الفور.

كانت هذه كايت هاريل التي التقتها رونا مرة واحدة، أما الرجل فقد كان بيتر غرايفن، الأكثر رزانة منها. وسألهما عن رحلتهما، وأبدى سروره لرؤيتهما معاً، ثم لحق بكايت ليغير ملابسه ونظر مايلز إلى رونا بابتسامة خفيفة:

ـ هل اطمأن بالك الآن؟

ـ لم أكن بحاجة إلى ما يطمئنني.

ـ ماذا؟ هل تعلمت الثقة بي بعد كل هذا الوقت؟

ـ لطالما وثقت بك يا مايلز.

ـ إلى درجة ما.. إلى درجة ما.. وربما يهمك أن تعرفي أن آل مورتيمور سيكونان هنا في الغد، وآل كولن في الأسبوع المقبل.. وستعجبين بهم جميعاً.. لقد اخترتهم بنفسي لأجلك.

ـ لطالما كنت لطيفاً معي يا مايلز.

ـ لطيف؟ لا تعجبني الكلمة.. أريد أن أكون أكثر من لطيف بكثير.

لم ترد عليه.. ووقف إلى جانبها، يقاوم شوقاً متهوراً يدفعه لأن يسحقها بين ذراعيه، أن يكون أي شيء ما عدا أن يكون لطيفاً معها.

* * *

www.liilas.com

doode

٤ ـ أرجوك أن تفهمني!

تبع هذا، عطلة لا تنسى أبداً، بالنسبة لرونا، فقد ساد الفيلا جو ودي خاص. وفي فلورنسا كانت هناك كمية ضخمة من الثراء والجمال تتمتع به أية فتاة حساسة كرونا.

بدا مفهوماً للجميع أن مايلز يرغب في أن يكون مع رونا.. فلورنسا نفسها، زارها الجميع، وجالوا في معارضها الفنية، وأزقتها القديمة، وأعلنوا عدم رغبتهم في تكرار زيارتها، هكذا ذهبت رونا ومايلز لوحدهما، ولدهشتها، وجدت أن مايلز يعرف أين يوجد كل شيء، ويعرف أفضل ما يجب أن يشاهد.

ـ لا يمكنك رؤية كل شيء.. فسيستغرق هذا سنوات.. لذلك أنصحك بمشاهدة أفضل الأشياء وترك ما تبقى.

هكذا وقفت أمام منحوتة مايكل أنجلو الضخمة وتأثرت بها، لدرجة أنها قالت لمايلز، إن هذا لوحده يستأهل زيارة فلورنسا. وتجولت في المعارض الفنية، مستوحية أفكاراً لعملها.

كانا يخرجان في الصباح الباكر، أو في وقت متأخر من بعد الظهر. في الأمسيات، يتناولان طعام العشاء متأخراً، أحياناً على التراس، وبازدياد عتمة المساء، وتزايد أشعة الأضواء في فلورنسا، كان يتوالد سحر جديد.. لم يرغبا مرة في شيء بعد العشاء، سوى الجلوس على الشرفة ليتحدثا، والليل الهادىء حولهما، والهواء رائع البرودة ومليء بالروائح الطيبة.. زيزان الحصاد توفر لهما رفقة لا تنتهي أو تتوقف.. الآخرون كانوا كسولين جداً. قالوا إن فلورنسا مكتظة بالناس، والطقس حار جداً للخروج في نزهات، أبدوا استغرابهم لقدرة رونا على تحمل كل هذا

التجوال، لكن التجوال لم يكن متعباً حين يتم في سيارة مايلز، وبرفقة مايلز.

أخذها لزيارة صديق قديم له، يمتلك مزرعة حيث تجول مع رونا في حقوله، يشرح لها طريقة زراعة أشجار الزيتون في صفوف متساوية، وكيف ينمو القمح، أو الشعير بينها.. هناك، أيضاً، وكما في فيلا مايلز، كانت أشجار الفاكهة تغري كل زائر.. الخوخ والبطيخ، الكرز الأسود، البرقوق والمشمش.. وقال العجوز لرونا:

ـ لقد جئتما قبل موسم العنب والتين.. فهما ينضجان في الشهر القادم.

اعتبر من المسلمات أنهما حبيبان، أمام تسلية مايلز ومرح رونا، وأصرّ على مايلز أن يأخذها إلى روما، وأخذ بين حين وآخر يسجل لها أشياء يجب أن تراها هناك.

ذلك المساء، وهما عائدان إلى الفيلا لتناول العشاء، والعتمة بدأت تهبط على الريف، اعترفت رونا بأنها مرهقة تماماً. وقالت:

ـ لا بد أنني مشيت أميالاً كثيرة معه. مع أنني أحب حرارة الشمس، إلا أنني لست معتادة تماماً عليها. لذلك لا تعجب لو غفوت قبل أن نصل.

ـ بإمكانك الاستراحة على كتفي.. والإغفاء وأنا أقود.

ـ سيكون هذا كالجنة.

أراحت رأسها على كتفه مغمضة عينيها.. وتابع مايلز قيادة السيارة بثبات.

مرت بضعة أوقات خلال تلك العطلة ظن فيها مايلز أنه لاحظ ضعفاً منها.. أو دلائل على أن حصنها الذي شيدته ضد هجوماته، قد أخذ يتداعى. واعترف لنفسه، بأن هذا قد يكون بسبب مرورها بفترة إرهاق، وأنها متعبة تماماً.. ولتعبها لجأت إليه في مزاج أكثر رقة من عادتها، وأكثر إذعاناً.. وكان يمكن أن يتخلى عن كل شيء، مقابل الفترات القليلة التي كانت رونا تسمح له فيها أن يضمها، أو يضع يدها على ذراعه،

أو تريح رأسها على كتفه، كما الآن.

العطلة كلها، لم يكن فيها شيء يسيء إلى التناغم المتزايد بينهما.. وآمنت رونا أنهما الآن قد حصلا على أسس جديدة من الصداقة، فغدا يعاملها برقة واهتمام، مما زاد في دفئها نحوه، حتى أن مايلز اقتنع أنها سرعان ما ستدرك أنهما لا يمكنهما الاستغناء عن بعضهما.

عادا إلى لندن.. رونا مستعيدة نشاطها، مستعدة لبدء العمل من جديد.. أما مايلز فقد أخذ بعد العدة لرحلة عمل إلى أميركا.. على الفور تقريباً، عاد مايكل إلى حياتها، بعد أن أصبح صورة متضائلة جداً في خيالها، وبعودته، عاد كل إعجابها السابق به.. قال لها:

ـ اشتقت إليك بشكل رهيب.. لم أفتقد أحداً في كل حياتي هكذا. لا تغيبي عني مرة أخرى.

ـ لن أتمكن من الغياب، فقد عدت إلى طاحونة العمل.

ـ لكن مع أوقات راحة تقابليني فيها. هل فكرت بي؟ أنا لم أتوقف عن التفكير بك.

ـ أجل، فكرت بك يا مايكل.. فكرت أنك تشبه تمثال «دايفد» لمايكل أنجلو.

ـ يا فتاتي العزيزة الطيبة.. لا بد أنك مجنونة!

ـ أهذا ما أحصل عليه لقاء إطرائي لك؟

هكذا، تقابلا كثيراً.. مرتين أو ثلاثة أمضت أيام الأحاد في مزرعته.. أحياناً في منتصف الأسبوع، كان يأتي لندن ليتعشى معها، أو ليأخذها إلى المسرح.. وكانت في هذه الأثناء تتهيأ للانتقال من الشقة التي بقيت فيها سنوات عديدة، إلى شقة فخمة ساعدها مايكل على إيجادها.. شقة أكثر راحة، وفي منطقة أفضل وأقرب إلى عملها.. وكانت سعيدة متأثرة بانتقالها، لكن، آسفة لترك السيدة كيزلر، التي أصبح وجودها أساسياً في حياتها.

سألها مايكل:

ـ ألا تشعرين بالوحشة لعيشك لوحدك؟

ـ بشكل عام.. لا. لأنني دائماً مشغولة، أحياناً أجل.. فكل من يعيش لوحده لديه أوقات وحشة.. وتعرف هذا، فحالتك مثل حالتي. لديك مديرة منزل، لديك عمل تحبه، لكنك وحيد في الواقع.

ـ أتمنى لو أنني لست هكذا يا رونا. أما الآن وقد وجدتك، أعرف أن الغد سيكون أفضل من الأمس. رونا.. نحن نعرف بعضنا منذ خمسة أشهر، لكنني لن أكون أكثر وثوقاً مما أريد لو أني عرفتك منذ خمس سنوات.. أنا أحبك.. وأريد الزواج منك.

نظرت رونا إليه بذهول: أوه..

ـ أهذا مذهل لك؟ أن أحبك وأريدك زوجة لي؟

ـ لكن يا مايكل.. بالكاد أعرفك.. وأنا لم أحلم يوماً بمثل هذا. لا أريد الزواج.. أو على الأقل ليس قبل مرور وقت طويل.

ـ إذن.. أنت لا تحبيني يا رونا.

ـ لا أظن أنني أحبك.. تعجبني كثيراً، وتعرف هذا.. أحب أن أكون معك.. لكن الزواج! أتعلم مايكل، «لو» أردت الزواج.. لن أفضّل أحداً في العالم عليك.. لكنني أرغب أن أكون لوحدي.. أن أقوم بعملي.. وأظنني أحب عملي.. ولا أريد لأي رجل أن يقف بينه وبيني.

ـ لن أقف بينك وبينه يا رونا.. أعرف ما يعنيه لك عملك، وأريد منك الاستمرار به.. لكن، يمكن أن نتوج عملنا بالزواج.

ـ وكيف ستفعل هذا؟ عملك في الريف، وعملي في المدينة.. قلبك في الريف وقلبي هنا في لندن. إنه نوع غريب من الزيجات يا مايكل.. لا يا عزيزي.. أنا آسفة جداً.. لكن ردي هو «لا».

ـ لا يمكن أن يكون رفضاً لا رجوع عنه يا رونا. على الأقل سنستمر في رؤية بعضنا، أليس كذلك؟ ألا توافقين على هذا؟

ـ بالطبع يا حبيبي.. إذا كان هذا ما تريد..

ظن مايكل أنه قادر على جعلها تغير رأيها مع الوقت، وأنه سيتمكن

من جعلها لا تستغني عنه.

عرف مايلز أنها تقابل مايكل كثيراً.. ولأنه يعرفها جيداً، لم يعتقد أنها ستتزوجه.. ولا ظنها كذلك، يمكن أن تعطي مايكل أي شيء رفضت إعطاءه له. لكن هذه العلاقة أزعجته.. وعليه أن يراقبها جيداً. فهو كذلك يظن أنها قد تصل إلى مرحلة لا تستغني فيها عن مايكل، وإذا كان لأي رجل أن يكون هكذا، فهو يعرف جيداً من سيكون.

في إحدى أمسيات شهر آب.. تناولت رونا العشاء مع مايلز في شقته.. كان اليوم حاراً ومتعباً، الجو ثقيلاً ومرهقاً، ولهذا، فضلت رونا برودة غرفة الجلوس المنعشة على ضجيج المطعم ورطوبته.. كانت الأبواب الزجاجية مفتوحة على الشرفة الضيقة، لكن ما من نسمة هواء كانت تحرك الستائر. بعد تناول العشاء، وانصراف الخادم، جلست رونا في أريكة عميقة وكوب عصير مثلج في يدها، مسترخية، تتمتع بالهدوء والسكينة.

ران الصمت حولهما، وأخذ مايلز يدخن ويرتشف قهوته، وأسندت رونا رأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها.. وبقيت هادئة ساكنة لوقت طويل ظنها مايلز فيه قد نامت.. فسأل بنعومة:

ـ هل أنت نائمة؟

ـ لا..

ـ متعبة؟

ـ لا.. بل مرتاحة بشكل جميل.

ـ ماذا ستفعلين بنفسك أثناء سفري؟

ـ أعمل، بالطبع.

ـ لا أعني أوقات العمل، بل أوقات الراحة؟

ـ أوه.. سأسلي نفسي.

ـ مع المزارع الذي يأخذ الكثير من وقتك؟

ـ ربما.

توجه إلى النافذة ليقف وينظر إلى الخارج.. كان المساء يزداد عتمة والشارع تحته فارغ هادىء. لكنه لم يرَ كل هذا، بل رأى رونا فقط، مرفوعة الرأس، مغمضة العينين.. وعرف أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته.. لم يكن قد سمح من قبل لأي شيء أن يصبح هكذا.. لطالما تمتع بصداقاته لحبيباته، لكنه بقي في أعماق قلبه مكتفياً بنفسه. ولقد عرف، منذ التقى رونا، أن لديهما شيئاً يعطيانه لبعضهما، وفكر في الحال، بعلاقة حب.. لكن رونا أظهرت له بصراحة رأيها في هذا، فلا حاجة لها إلى الحب، لكن لديها الكثير للصداقة، وما أدهشه أنه وجد إعجابه بها ينمو بسرعة إلى أن أصبح حباً.

تحرك ينظر إلى داخل الغرفة.. هذا لن يفيد.. وليس الوقت المناسب، خاصة وأنها متعبة ولا تريد سوى الراحة. سألها:

ـ أترغبين بسماع بعض الموسيقى؟

ابتسمت له دون أن تتحرك. وقالت:

ـ رائع..

لكنها لم تكن تفكر بالموسيقى، فهي كانت بعيدة في أفكارها، وصوت مايلز أعادها من عالم كانت رونا المراهقة قد خططته لمستقبلها منذ سنوات طوال. لم تكن تدري ما الذي نقلها إلى عالم طفولتها، لكن، وفي وقت كان مايلز يقف عند النافذة يفكر بها، كانت تفكر بالشارع الأغبر حيث كانت تعيش مع عائلتها. وبالطفلة التي كانت تذهب لتلعب في الشارع، وبديانا وأمها، اللذين احتوياها. لم تكن قد فكرت بعائلتها منذ زمن طويل، ولا تريد أن تعرف ما جرى لها.. ولا شيء لديها لتفكر بها.. الشكر والامتنان يعودان لوالدة ديانا، التي أعطتها كل شيء من الحب الطبيعي للنظافة إلى مستوى الحياة العادية.. المتحفظة، المنظمة، المحترمة، إلى المعرفة بعالم لم تكن لتحلم به.. من دونها أين كانت ستكون.. وماذا كان سيجري لها؟

مضى وقت لا بأس به قبل أن تتسلل الموسيقى إلى وعيها.. وكانت

موسيقى مرتبطة بذاكرتها.. لماذا بحيرة البجع؟ أمر غريب! لماذا اختارها؟ إنه لا يحبها كثيراً.. فذوقه الموسيقي قد تجاوزها إلى نوعيات أرفع. لقد اختارها لأجلها.. لا.. إنها مجرد مصادفة، فهذه الموسيقى كانت الحد الفاصل بين طفولتها ومراهقتها المثيرة..

لم تعد تستطيع الجلوس ساكنة.. فوقفت لتسير إلى النافذة.. إنها قلقة، مأسورة، تتساءل ما إذا كانت ما تزال هناك أمسيات في حياتها ستكون نقاط ارتكاز، كما مرّ بها في أمسيات سابقة..

كان مايلز يقف يراقبها، بلهفة قلقة.

ـ مايلز. أليست الحياة غريبة محيّرة؟ كيف من المفترض أن نتعامل معها؟

لاحظ أن مزاجاً غريباً يعتريها، لكنه يجهل ما هو، أو ما سببه. فأجابها بما استطاعه في تلك اللحظات:

ـ أعتقد أننا مضطرون لأن نعيشها بالكامل كما نعرف أن نعيش، بارتفاعها وعمقها، وبقدر ما نتمكن من الكمال.

استدارت تنظر إليه.. كان هناك نور أحمر صغير يضيء أمام آلة التسجيل، ولا يستطيعان على ضوئه رؤية بعضهما بوضوح.. مشاعر رونا الغريبة الحادة كانت تملأ الغرفة، وتمتد بينهما.. فجأة تحركا معاً.. وبسرعة، ليلتقيا في المنتصف، وذراعاهما حول بعضهما.. أخيراً أرجعت رونا رأسها إلى الوراء، تقول هامسة:

ـ مايلز.. أوه.. مايلز!

توجها معاً إلى الأريكة قرب النافذة.. والحب يجمع بينهما، اللطف، والأمان. كان رأسها على كتفه، ولم يتكلما.. إنها الآن هادئة، متعشة، مع ذلك تحس بالأمان.. لم تعد قلقة مأسورة.. أهذه هي نقطة الارتكاز التي كانت تفكر بها؟ هل هذا هو الرد على كيف يجب أن تتعامل مع حياتها؟

قال مايلز:

ـ أحبك رونا.. وأنت، أتحبينني؟

سألت:

ـ هل أحبك؟

ضحك ضحكة منخفضة راضية. فقالت بدهشة:

ـ أنت سعيد.

ـ ولماذا لا أكون سعيداً.. وقد عرفت الآن أنك تحبينني.

ـ لكنني لست متأكدة.

ـ بل أظنك متأكدة. وأظن أن هذا ما أردتيه منذ زمن بعيد، مثلي تماماً، لكنني كنت أعلم، وأنت لا تعلمين.

اليوم التالي، كان يوماً حافلاً جداً بالنسبة لرونا، كانت تكمل ثياب عروس، وأمها، ووصيفاتها.. مع ذلك كرهت كل لحظة عمل.. كانت ترغب في العزلة، في الهدوء، كي تستطيع التفكير.. لتراجع ما الذي حدث، وتقرر ما يجب أن يحدث في المستقبل. لم تكن في غمرة العمل قادرة على التركيز، حتى في وقت الغداء، لم يكن لديها سوى دقائق تخصصها لحياتها الخاصة.. ووجدت أن التفكير المترابط أمر صعب.. فانزلقت إلى حلم يقظة، وإلى تذكر حيوية وقوة حب مايلز لها.

في نهاية يوم العمل، تناولت العشاء منفردة في مطعم هادىء.. فيما بعد سارت في الأمسية الصيفية إلى منزلها.. لقد وصلت إلى مفترق طرق، تعرف هذا.. لكنها لا تعرف أي اتجاه هو الصحيح.. لطالما آمنت بأن ما من رجل يجب أن يقف بينها وبين عملها.. لكن، لو كان لها أن تعترف بالحب بينها وبين مايلز، وأن تسمح له بالتطور، يجب أن يؤدي هذا إلى تغيير كبير في حياتيهما.. فهل ستكون حكيمة في إعطائه إمكانية السيطرة عليها؟ أيمكن أن تثق به في أن يسمح لها باستمرار العمل دون انقطاع؟

كانت داخل شقتها، حين وصل.. ليسألها:

ـ هل أنت خارجة؟

ـ لا.. وصلت لتوي.

ـ عظيم.

تقدم منها، وأخذ القبعة عن رأسها، وأمسك وجهها بين يديه ليقول:

ـ آه.. طوال اليوم كنت أحاول إقناع نفسي.. إن هذا سيحدث.

ـ أكنت تشك؟

ـ أجل.. فالانتظار الطويل لم يزد من ثقتي بنفسي.. أوه.. رونا، أنت أجمل شيء في حياتي.. تعالي إلى ذراعي.. أليس هذا أمر رائع؟ ألا تحسين أنك تنتمين إليهما؟

ضحكت رونا:

ـ لست أدري.. كنت كالبلهاء طوال اليوم.. كأنني مسحورة.. إذ لم أستطع التفكير القويم.

ـ لماذا تنفذين كل عمل في حياتك بعد تفكير طويل؟ لماذا لا تتركي لأحاسيسك أن تعمل؟ ما رأيك بهذا العناق؟

ـ كالجنة مايلز.. كالجنة.

مضى وقت طويل قبل أن تنتزع رونا نفسها من عناقه.. وانتزعت سترتها لتعلقها على ظهر كرسي. وتتقدم إلى النافذة تفتحها، ثم قالت بشيء من الخجل:

ـ أريد القليل من القهوة.. أترغب فيها معي؟

ـ أجل..

جاءت بالقهوة إلى غرفة الجلوس.. بعد أن احتسيا نصف أول فنجان.. غيّر مايلز الفنجانين ليشرب من فنجانها.. فقالت:

ـ كم أنت غبي..

ـ إذا كان هذا غباء، فسنقوم بأشياء غبية كثيرة. وبأشياء مسلية مذهلة، ومثيرة للاهتمام.. سنكتشف معاً عالماً جديداً يا رونا.. بما أننا الآن معاً.

صمتت، إلى أن نظر إليها مفكراً، يسألها:

ـ نحن الآن معاً.. ألسنا هكذا؟

ـ لست أدري.. فكوننا معاً تغيير مخيف لي.. إنها خطوة مهمة، فلطالما كنت لوحدي، لا أفكر سوى بنفسي.. إنه اقتحام متهور.. يا مايلز.

ـ حسناً حبيبتي، فليكن اقتحاماً.. خذي المبادرة.. فأنت لا تعرفين ما ينقص في حياتك. إنها باردة جداً.. متحفظة جداً، ليس فيها سوى أنت.. لكننا معاً قد نتمكن أن نجعلها تزدهر.

صمتت تنظر إلى فنجان قهوتها.. فسألها:

ـ ما الأمر؟ قولي.. فلنواجه كل المشاكل ونتخلّص منها.

ببطء شديد، وبعد تفكير، قالت:

ـ لطالما قلت إنني لن أتزوج. وإن الزواج لا يناسبني. وإن ما من رجل يجب أن يقف بيني وبين عملي.

ـ حسناً.. هذه مشكلة سهلة الحل.. لم أتحدث عن الزواج، وأنا آخر من يتدخل في عملك. وأؤكد لك أنني سأحترم عملك دوماً ومتطلباته.

الصمت هذه المرة كان له وقع مختلف.. لم يكن مجرد تفكير.. بل أنه فجأة أصبح مشحوناً بالتوتر.. وجلست رونا دون حراك، عيناها معلقتان على فنجان قهوتها، رموشها ثقيلة كثيفة تغطي عينيها، دون أن يتمكن مايلز من رؤيتهما، مع ذلك فقد أحس أنه ارتكب غلطة فادحة. وهو يراقبها، كان هناك برقع قاتم يتسلل فوق وجهها من عنقها إلى منبت شعرها، وببطء عاد ليتلاشى مجدداً. مع ذاك لم تتحرك، ولم تتكلم. وطال الصمت، لكن مايلز كان يحس أنها تبتعد عنه وستبتعد مع طول ذلك الصمت.. يجب أن يكسره.. لكنه لا يستطيع إيجاد الكلمات المناسبة.. ماذا يجري يا ترى داخل هذا الرأس الجميل الذي لا حراك فيه؟ قال بهدوء:

ـ رونا.

رفعت نظرها إليه، فشاهد على الفور أن نفسها الحقيقية قد

اختبأت . . وابتسمت له :

ـ أتود المزيد من القهوة مايلز؟ لا؟ وأنا من صنعت منها الكثير . . حسناً، سأشربها بنفسي .

تحول صوته إلى نوع من التوسل : رونا .

صبت لنفسها القهوة وشربت منها، عرف في تلك اللحظات أن أول اهتماماتها هو إخفاء الجرح الذي سبّبه لها . . وأحس بتوق لأن يحتويها بين ذراعيه ويواسيها، لكنه كان يعلم أن هذا سيكون غلطة أخرى .

وضعت فنجانها من يدها، ووقفت لتتجه إلى النافذة . لحق بها مايلز ليقف وراء كتفها :

ـ ما الأمر الآن؟ أخبريني بما تفكرين يا رونا .

ـ لن يعجبك ما أفكر به يا مايلز .

ـ أخبريني .

ـ إنني أفكر كم اقتربت من نسيان قراراتي . . كم كنت غبية في التفكير بضم حياتي إلى حياة شخص آخر . . وإغراق نفسي في شخصية شخص آخر . . والسبب في تفكيري أنني بكل بساطة : لا أستطيع .

ـ بل تستطيعين رونا . . وستفعلين، لأننا نحب بعضنا . .

ـ الحب! الحب! لقد شهدت الكثير يجري تحت اسم الحب! وبعض هذه الأشياء أفضل أن لا تكون في حياتي . الحب أناني متطلب . . أنت تريد الآن مني أمراً . . لذلك تقول إنك تحبني .

ـ بل أقول أكثر من هذا . . أقول إنك أنت كذلك تحبينني .

ـ يمكنني الاستغناء عن الحب، فهو يخرّب حياة الناس .

ـ كلامك مرير .

ـ صحيح .

ـ لم تكوني هكذا منذ قليل، أو ليلة أمس .

ـ لا . . لأنني اقتربت جداً من نسيان تعقلي .

ضمها من خلف إلى ذراعيه، فأغمضت عينيها، واستدعت كل

قوتها . . ليس لتصده، فهي تعلم عدم قدرتها، لكن لتكون دون حراك أو مشاعر بين ذراعيه . . أخيراً تركها :

ـ باستطاعتك أن تكوني قاسية يا رونا .

ـ لكن ليس بقساوتك يا مايلز .

ـ لنكن صادقين مع بعضنا . ظننت أنني أريد الزواج منك يا رونا؟

ـ بالأمس واليوم . . أجل .

ـ لكن لو نظرت إلى الأمر بتعقل، سترين أن هذا سيحبط كل مشاريعك . . وستفقدين استقلاليتك وسيواجه عملك المصاعب . وبهذا سنضطر إلى الارتباط ببعضنا حتى بعد وقت طويل من توقف رغبتنا في هذا . . لكن على طريقتي، يبقى لكل منا حريته، أنت وأنا . لامرأة مثلك، أمامها مهنتها تفكر بها، وفرصة لا حدود لها، هذه هي الطريقة الوحيدة للتمتع بالحياة .

ـ قد تكون على حق .

لكن ردها كان يدل بصراحة على عدم رغبتها في مناقشة المسألة أكثر من هذا . . لقد وصل مايلز إلى صدام مع إرادة صلبة تماثل إرادته . . أمسك بكتفيها ليديرها إليه :

ـ رونا . . دعينا نجد حلاً . . معاً .

ـ لا . . لا أريد أن أجد حلاً . . بل أريد أن أكون لوحدي .

طوّح بيديه دليل نفاذ صبر وإحباط . . فسألته :

ـ أيمكن أن تذهب الآن . . أرجوك؟

ـ هل سأراك غداً؟

ـ سأكون مشغولة جداً في الغد .

ـ لكنني مسافر إلى أميركا يوم الجمعة .

ـ إذن يبدو لي أنني مضطرة لوداعك الآن . . أتمنى أن تكون رحلتك ناجحة . .

صمت قليلاً يفكر بطريقة يعيد فيها الاتصال معها :

ـ رونا.. لا يمكنني الذهاب وكل هذه الأخطاء بيننا.
ـ لقد عدنا ببساطة إلى حيث كنا منذ زمن بعيد.
ـ لا.. شيء ما حصل لتفاهمنا.
ـ لكنني أفهمك مايلز.
ـ أتعنين أنني لم أفهمَك؟
صاحت كمن لُدغ فجأة:
ـ لا.. لم تفهمني.. في أكثر الأمور أهمية لم تفهمني..
ـ رونا!
ـ وداعاً مايلز.

وكان هذا أمراً نهائياً.. لم يعد هناك ما يجتبه من البقاء.. مد يده، بعد لحظات صمت، أعطته يدها بتردد ظاهر. نظر إلى عينيها، ورأى فيهما التصميم البارد.. هكذا رحل وتركها وحيدة.

سارت رونا حول الغرفة، تحس مرة أخرى أنها في قفص، مأسورة، في فخ من الإحباط واليأس. لقد انحدرت إلى عمق البؤس والتعاسة السوداء.. ذرعت الغرفة بسرعة أكبر تدفع عقد أصابع يد في راحة الأخرى، تتوق إلى الهدوء..

وفكرت: لطالما رفعت رأسي عالياً.. ولم أعطه أي سبب لأن يعتقد بأنني قد أكون عشيقة له. كنا أفضل صديقين.. ولا بد أنه قد فهمني حتى الآن. كان يجب أن يعرف أنني أريد الزواج أو لا شيء.. فلماذا لم يفهم هذا؟ ظن أننا معاً، والأمر مسلم به.. ظن أن هذا قد يكفيني.. لماذا.. لماذا؟ لكنني مختلفة.. كل خياتي مختلفة.. لقد عملت ودرست، ورفعت رأسي عالياً.. وليس له الحق قطعاً في أن يظن بأنني سأعيش معه هكذا.. أوه.. مايلز.. لماذا لم تطلب مني الزواج؟ لماذا؟

لكنه لم يطلب الزواج منك.. يا رونا. إنه الآن مسافر إلى أميركا، ولأربعة أسابيع، وربما لخمسة.. ولن أراه مجدداً.. وكم أتمنى أن لا أضطر إلى رؤيته ثانية.. بالأمس فقط، ظننته منقذي، ظننته سيقودني إلى

عالم أوسع.. أكنت سأتزوجه لهذه الأسباب؟ أجل.. كنت سأفعل. بالرغم من كل الأشياء التي قلتها دوماً.. كنت سأتزوجه.. وأظنه كان سيتفهم أمر غملي.. لقد أحسست بالجنة وأنا بين ذراعيه.. لكن مجرد لمحة بسيطة من الجنة.. ثم رماني بسرعة إلى الظلمة.. غير أنني لن أهجر مبادئي.. سأبقى فخورة، وسأعمل وأعمل لأظل سيدة نفسي.

لكن.. آه مايلز.. لو أنك فقط فهمتني!

* * *

www.liilas.com
doodle

٥ ـ الفرصة الضائعة

ذهب ادوارد إلى المحطة لاستقبال رونا، ثم أوصلها إلى ديانا المترقبة، التي استقبلتها بترحاب حار:

ـ رونا.. أنا سعيدة لرؤيتك مجدداً. وكم تبدين جميلة! انظري إلي، لقد عدت نحيلة مرة أخرى!

استدارت ديانا أمام رونا، نحيلة ممشوقة في فستان أخضر، فابتسمت رونا مستجيبة لهذه السعادة الظاهرة، وقالت:

ـ أريد رؤية الابنة التي سأصبح عرابتها قبل أي شيء آخر. أين هي؟

ـ تنام في عربتها في الحديقة.. هل ستكونين حقاً عرّابتها؟ بالطبع كنا سنسألك، فقد سميناها على اسمك.. جاين رونالدا..

ذهبتا معاً لتطلا على الطفلة النائمة، وعادتا إلى المنزل لتناول الشاي.. شرب ادوارد شايه بسرعة واعتذر.. فقد كان يعرف أنهما بحاجة لإجراء حديث خاص بينهما، كما أنه يريد العودة إلى المزرعة.. وقالت ديانا:

ـ مايكل قادم في الغد.. لقد دعا نفسه حال أن علم بأنك قادمة.. ألا تمانعين؟

ـ أبداً.. سيكون هذا رائعاً.

نظرت ديانا إلى صديقتها لحظات مفكرة قبل أن تقول:

ـ ما الأمر يا رونا؟

ردت بابتسامة مشرقة:

ـ لا شيء.

لكن ديانا لاحظت أن البسمة مشرقة أكثر من اللازم.. وسألت:

ـ ألا شيء يشغل بالك؟

ـ أوه.. هناك دائماً آلاف الأشياء التي تشغل بالي..

ـ تبدين متعبة مرهقة. وأتمنى لو تبقين معنا لأكثر من عطلة الأسبوع.. لكي ترتاحي فعلاً.

ـ لست متعبة ولا مرهقة.. العمل هو الشيء الوحيد الجيد بالفعل لي.

ـ لكن ليس كل هذا العمل يا حبيبتي.. ألا يراقبك مايلز، ويعتني بك، ويبعدك عن العمل أحياناً؟

ـ مايلز مسافر في أميركا.

ـ إذن، يجب أن ألحّ على مايكل ليفعل هذا. لقد بدوت رائعة حين عدت من إيطاليا، كنت تشعين إشراقاً وكأنك على قمة العالم.. وأنت الآن تبدين وكأنك بحاجة إلى عطلة أخرى.

أدركت رونا أن ديانا قلقة بالفعل عليها.. ويجب عليها أن تحاول إخفاء مشاعرها بشكل أفضل من هذا.. ابتسمت عبر فنجان الشاي لصديقتها:

ـ أظن أن الجميع يواجه أوقاتاً صعبة أحياناً.. أجد نفسي متوترة، حتى أنني أصيح بالفتيات، وهذا أمر غير عادي مني.. لحسن الحظ أن السيدة رستون تعرفني بما يكفي لكي تتحملني، وتقوم بدور واقي الصدمات بيني وبين الفتيات.. أتعلمين يا ديانا.. ثبت لي أنه من الممكن الاعتماد عليها.. حتى أنها أصبحت تمارس بعض السلطة على الفتيات..

عرفت ديانا أن كلامها هذا هو محاولة لتغيير الحديث.. فقالت:

ـ حسناً.. إذا كنت لا تريدين الكلام في الموضوع، فلا تتكلمي.. لكن، أهي صعوبات مالية؟

ـ لا.. فهذه الناحية على ما يرام.. أنا من فقدت توازني.

ـ ألم تلجأي إلى مايلز ليعيد لك التوازن، كما كان يفعل في الماضي؟

ـ لا.. لم ألجأ إليه.

مدت فنجان شايها لتحصل على المزيد.. لكن ديانا ولمعرفتها بها طوال حياتها، تعرفت على الفور إلى شيء من الجفاف في صوت رونا.. وكأنه إقفال صارم للباب على أفكار قد تزعجها.. إذن لقد أصبح مايلز مشكلة.. وتساءلت ديانا بأية طريقة كان هذا.

وفكرت رونا.. لا لم ألجأ إلى مايلز.. فهو ليس معي، وهذه هي كل المشكلة.. مايلز ليس معي.

أحست مجدداً بالألم في قلبها، والغصة في حلقها، وهما شعوران أصبحا الآن مألوفين جداً لديها. هذه الأيام كانت في معركة دائمة مع الدموع والاكتئاب. لو أنهما استمرا في علاقتهما السابقة! لكن، ربما كانت هذه العلاقة خطيرة دوماً.. ربما كانت تحتاج دوماً إلى شرارة واحدة لتشعل نارها.. منذ تلك الليلة لم تعد قادرة على نسيانه.. كانت أمسية رائعة، وقتاً قصيراً جداً من النعمى، قبل خيبة الأمل.. ولن تستطيع أن تنسى مايلز الذي كان تلك الأمسية.

فعلت ديانا ما في وسعها لتساعدها، مع إدراكها أنها لن تستطيع شيئاً.. وفعل مايكل المزيد حين وصل في اليوم التالي، وكان بكل بساطة ودوداً مهتماً، كعادته، ومن دون إظهار أنه لاحظ شيئاً.. باندفاع أظهر ولعه بها لحظة وصوله، وأخذها في نزهة طويلة، بينما كانت تحتج أنها تود مساعدة ديانا في تحضير الغداء. قال:

ـ سوف تعيقينها بدل أن تساعديها في المطبخ.. وتعرفين هذا.

ـ أعارضك في هذا.. ألا أعتني بنفسي؟

ـ لا.. فأنت تأكلين في المطاعم، وتحضرين لنفسك أسوأ الطعام، لا يمكنك سوى تحضير القهوة.. قالت لي ديانا إنك غالباً ما كنت تنسين أن تأكلي ما لم تطبخ هي الطعام.. أليس هذا صحيحاً يا ديانا؟

ـ صحيح تماماً.. أخرجها من هنا في نزهة.

سألها عن شقتها الجديدة، وعن الديكور الذي تخططه لها. ووجدت نفسها تقول له كل شيء عن مشروعها، حتى عن الألوان، وقطع الأثاث

التي تفتش عنها.

بعد الغداء، وبذهاب رونا إلى غرفتها لأمر خاص، قالت ديانا لمايكل:

ـ ما صدمني هو أن رونا تبدو مكتئبة.. لم تعد واثقة من نفسها كالمعتاد.

فكر مايكل لحظات، ثم قال:

ـ أجل.. أعتقد أنك محقة.

ـ أظنها بحاجة إلى دعم الآن..

ـ أتطلبين مني حقاً أن أحاول إبهاجها؟

ـ أجل.. وأنا واثقة من أنك قادر على هذا.

وهذه مهمة كان مستعداً لأن يتولاها بكل سرور. هكذا كان يذهب ليلة كل أسبوع إلى لندن لمقابلتها، ووجدت نفسها تنتظر بفارغ الصبر زياراته. كل يوم أحد، بالرغم من تزايد الدعوات لها من مصادر أخرى، كانت تذهب إلى مزرعة ديانا، حيث ينضم مايكل إليها.. كان في ذلك المكان سحر وتجانس، يبلسم حالتها الراهنة، حتى أنها أقنعت نفسها بأنها أصبحت قادرة على نسيان جرح مايلز لها. كانت تعرف أنها مضطرة لمقابلته في سياق عملها.. وأنهما سيعودان إلى حالتهما السابقة.. إلاّ أن صوتاً صغيراً في رأسها قال: لا عودة إلى السابق أبداً.

انتقلت إلى شقتها الجديدة.. وأحست أنها تبدأ بهذا بداية جديدة. كانت الشقة أكبر من أي شيء كان لها من قبل، حتى أنها لم تحس بارتياح فيها في البداية.. لكن بعد أن أقامت أول حفل استقبال فيها، لديانا وزوجها وأبويها، ومايكل، وامتلأت الغرف بضحكاتهم وثرثراتهم، بدأت تحس بالدفء فيها.

كان مايلز ما يزال في أميركا.. ولم يكتب لها.. لكن الأزهار كانت تصلها بانتظام بناءً لأوامره لبائع الزهور.. حاولت رونا أن تكون صارمة مع نفسها وتبقيه خارج إطار تفكيرها، لكن، كان هناك واقع مستمر، في

أنها تشتاق إليه.. وعند كل دقة على بابها، وكل رنة للهاتف، كان تفكيرها يقفز إليه، وتضطر إلى جذب نفسها من عالم الخيال إلى الواقع. اشتاقت إلى دفء رفقة أمسياتهما.. اشتاقت لأن تقص عليه أحداث يومها، عن الناس الذين تلتقي بهم، وأن تتلقى أحياناً تعليقاته الساخرة.. هل من الممكن العودة إلى تلك الأمسيات من الاسترخاء والرفقة.. أم أنها ذهبت إلى غير رجعة؟

في إحدى الأمسيات، الباردة الممزوجة بطقس الخريف، كانت مشغولة بعمل جاءت به إلى المنزل.. حيث كان لها مكان خاص للعمل في زاوية غرفة الجلوس، والمكان هذا كان مكتظاً بالأوراق والرسومات.. كانت ترتدي بارتياح قميصاً أحمر، وبنطالاً من المخمل الأسود، وشعرها الأسود مشعث. أمّا تركيزها على عملها فقد جعل عينيها تبرقان.. ولأول مرة استغرقت في عملها ونسيت مايلز مؤقتاً.. ثم سمعت طرقاً على الباب، لم تشك لحظة أنه هو. لكنها كانت مستغرقة قلقة، مشغولة، سارعت إلى فتح الباب، لتجده يقف هناك يبتسم لها.

ـ رونا.. من الرائع رؤيتك.. كيف حالك؟

ـ مرحباً مايلز.. ادخل.

دخل إلى الردهة الصغيرة وأقفل الباب خلفه. رمى قبعته جانباً، واستدار إليها:

ـ إذن لقد استقريت.. أيعجبك المكان؟

ـ كثيراً.. تبدو بصحة جيدة يا مايلز.. أكانت رحلتك جيدة؟

قادته إلى غرفة الجلوس، فأخذ ينظر حوله، ليشاهد ما فعلته بها، ثم نظر إليها يتفحصها للحظات:

ـ لقاء رسمي بارد.. لكنك لا تبدين على ما يرام يا رونا.. أصبحت نحيلة أكثر.. ماذا كنت تفعلين لإرهاق نفسك؟

ـ أنا بخير تماماً.. ولا أظن أنني أكثر سمنة.

ـ هل عملك على ما يرام؟ عظيم.. لا مشاكل؟.. إذن أتوقع أن

تكوني قد اشتقت إليّ؟

لم ينتظر رداً بل توجه إلى طاولة عملها.

ـ أهذا ما كنت مشغولة به قبل وصولي؟

ـ أجل.

أخذ يتصفح التصميمات:

ـ جذابة جداً.. عظيمة.. أنت فتاة موهوبة يا رونا.. وأرجو أن لا تكوني قد عملت كل الأمسيات.

ـ لا.. بالطبع لا.

ـ لكن على الأرجح أكثر مما يجب.. هل تناولت العشاء؟

ـ لا.. كنت سأصنع بعض القهوة.

ـ رونا! أنت تدهشيني لقلة تفكيرك، لا يمكنك العمل طوال النهار ومعظم المساء دون طعام.. لا عجب في نحولك.. سآخذك للعشاء.

ـ لا.. شكراً لك.. لا أريد أن أزعج نفسي بتغيير ثيابي.

ـ تعالي كما أنت.

ـ عزيزي مايلز! لا يجب أن أنسى نفسي وأخرج معك ببنطال وقميص.

نظر إليها مفكراً، ولاحظ نوعاً من المرارة في صوتها:

ـ إذن.. ستتعشين في شقتي. سأستخدم هاتفك لطلب الطعام.. وسيصل إلى هناك فور وصولنا.

أخذ زمام المبادرة بكل صدق، وبشكل طبيعي. طلب الطعام الذي يعرف أنها تحبه، وأخذها إلى شقته.. حيث اهتم بأن تأكل أكثر من قدرتها.. مع أنه لم يتوقع منها أن تتكلم، بل كان مسلياً، مذهلاً، يقول لها أشياء عن رحلته إلى أميركا.

أحست رونا أن إحباطها ومرارتها أخذا بالتلاشي. العشاء الرائع أفادها، فهي لم تكن تدرك كم كانت جائعة. رفقته السهلة كانت مريحة ومطمئنة. حين أعادها مايلز إلى بيتها، وصافحها عند الفراق، واعداً بأن

يراها قريباً، دون محاولة أي نوع من التقرب الحميم.. ظنت أن الأمور يمكن أن تعود كما كانت دائماً.. لقد كان ساحراً، لبقاً ومتفهماً.. وبلقاء واحد عادا معاً إلى علاقتهما السابقة.. ويمكنهما الآن متابعة المسيرة.

لكن هذا الاستنتاج المتفائل سرعان ما تبين خطأه.. ومع ذلك تتابعت أمسيات اللقاء معه، واستمرت نصائحه لها، وأحاديثهما الهاتفية الطويلة عادت كما كانت سابقاً. أزهاره كانت تزيّن شقتها.. وأصغيا معاً إلى الموسيقى في شقته.. وغالباً ما كانا يذهبان معاً إلى المسرح..

كانت رونا هي من اكتشفت، مع كل التشابه الخارجي بين الماضي والحاضر، أن هناك اختلافاً جوهرياً في علاقتهما.. وأن هذا الاختلاف هو في نفسها هي.

بمرور الأيام، حافظ مايلز على دقته وتحفظه. وهذه الدقة هي التي أثارت سخطها.. صحيح أنه أعاد علاقتهما إلى سابق عهدها، إلا أن هذه الحالة لم تعد كافية لها الآن.

أقنعت نفسها بوجوب العودة.. فلا تقدّم إلى الأمام في الطريقة التي تبناها مايلز.. ولا ينوي هذا.. لا يرغب في الزواج.. لذلك، وإذا لم يكن هناك مجال للتقدم، عليها أن تجبر نفسها على العودة إلى الماضي.

لم تكن قد حسبت حساباً للضعف البشري بدون مايلز، كانت محبطة وحيدة.. معه أصبحت معذبة.. خلال النهار، كانت تتحرق شوقاً إلى رؤيته، لكن حين تراه، كانت تحس بحاجة ماسة للتواصل معه، حاجة ملحة لا تحتمل.. وبدت لها حياتها مليئة بشيء واحد، حبها لمايلز، ورغبتها فيه، بل هوسها به.

هوسها هذا تعاظم إلى أن أخذ يؤثر على عملها، على مأكلها، ونومها، واستمرت ترهق نفسها بالعمل. ما من رجل يجب أن يقف بينها وبين عملها.. لم تعد الفتيات في هذه الأيام مجنونات بحب رجل.. وستتغلب على حبها هذا.. مع ذلك، حين لا تسمع منه شيئاً لعدة أيام كانت تصبح متوترة يائسة.. هل حصل له حادث؟ هل وجد امرأة جذبته

ووجدها أقل صعوبة منها؟ هل تعب أخيراً من جهودها المتواصلة لإبعاده عنها؟

حين زارها مايلز أخيراً، كانت تتوقع وصول ديانا. كانت رونا تعلم أنهما سيتكلمان معظم الليل، لذلك أشعلت النار في المدفأة لكسر حدة برودة أمسية الخريف.. حين وصل مايلز، أحست بالانزعاج بعد قلقها، لأنها وجدته عادياً، غير مضطرب، وكأنه يعيش أحلى أيامه.. كان قد قام برحلة عمل إلى باريس، وجاء لها ببعض العطر الغالي الثمن..

انتظر إلى أن جلست في زاوية الأريكة ثم جلس إلى جوارها.. قدمت له القهوة، وصبت لنفسها شيئاً منها، وجلسا ينظران إلى النار، حيث كانت تعي كل حركة من حركاته، وتحس بأنفاسه، وحتى سكونه.. كانت ضعيفة جداً لشوقها إليه.. وقالت لنفسها: هذا لن ينفعك، تماسكي يا رونا.. ووقفت عن المقعد:

ـ أحضّر أزياء عمل موسيقي جديد، سيعرض وقت الميلاد تقريباً. أترغب في رؤية الرسومات؟

ـ جداً.

سار معها إلى طاولة عملها، وأخرجت له تصاميمها فلامست كتفه كتفها وهو ينحني لينظر إلى التصاميم لكنه لم يلاحظ تلك اللمسة، بينما حبست رونا أنفاسها مرتجفة، متحركة بسرعة تلهي نفسها بشيء آخر.. كان هناك الكثير ليتناقشا حول العرض الجديد. وهذا ما نجح في إبعاد تفكيرها عن شوقها إليه، لكن الموضوع في النهاية استهلك، وعادا إلى مزيد من الصمت فوق الأريكة، أمام النار المتوقدة..

قال أخيراً:

ـ حسناً.. آن وقت ذهابي.

ـ أوه.. لا تذهب الآن.

ـ لكنك تبدين متعبة.

ـ لا.. لست متعبة.. إبق معي قليلاً بعد.

ـ ماذا بك يا رونا؟ هل أنت مكتئبة؟

ـ قليلاً.. ربما.

ـ كنت هابطة المعنويات طوال الأمسية. فما الذي يزعجك يا رونا؟

ـ أنا لست مكتئبة بالفعل. فلا تشجعني على أن أكون..

هكذا تابعا الحديث قليلاً.. لكنه أدرك أنه بعيد جداً عن مساعدتها، وأنه يتسبب في ازدياد اكتئابها. لكنه لم يعرض مساعدته لها.. فهي من وضعت القواعد، وإذا كان لهذه القواعد أن تكسر، فهي التي يجب أن تكسرها بنفسها.. هكذا جلس يتحدث بلطف عن هذا وذاك.. إلى أن بلغ توترها الذروة. فقال لها مرة أخرى إن الوقت قد حان ليذهب. فوقفت معه:

ـ حسن جداً، إذا كان عليك أن تذهب، فاذهب.

ـ ألا ترغبين في البقاء لوحدك؟

ـ لا.. يا مايلز.

ـ هل أنت متوترة من شيء ما؟

ـ تعرف أنني لست هكذا.. أوه.. مايلز!

نظر إليها باهتمام، وبدت له عيناها مثبتتين عليه، مليئتين بالألم، والاشتياق. همست:

ـ ابقَ معي.. يا مايلز.

ـ عزيزتي.. أنت لست على ما يرام.

ـ لم أكن يوماً على ما يرام أكثر من الآن.. يا مايلز!

ـ ما بك؟

ـ تعرف ما بي.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. أعرف.

ـ حسناً؟

ـ في الغد يا رونا.. ستكونين ممتنة لي، إن أعطيتك فرصة للتراجع.

ـ لا.. فالغد لن يكون أفضل من اليوم أو الأمس، أو كل الأيام التي

مرّت.

ارتمت بين ذراعيه، بارتياح لا يصدق.. باشتياق أذهلها، بحب هزّها حتى الأعماق.. وتعانقا دون وعي.. وقالت رونا، ضائعة عن كل العالم:

ـ آه.. يا حبيبي.

همس لها:

ـ... سأجعلك سعيدة يا رونا.. فأنت لم تكوني يوماً سعيدة حقاً.. لكنك ستكونين معي.

لم ترد، بل نظرت إليه بعينين يملأهما الحب. وكأنه لامس الينبوع المختبىء في أعماقها.. بحيث أصبحت شديدة الحلاوة والإشراق.. ولفت ذراعيها حول عنقه، وشدته إليها.

قطع حالتهما المزاجية الرائعة، صوت جرس الباب. فأجفلت رونا بين ذراعيه، ونظر مايلز إلى وجهها.. يسألها وقد شاهد التغيير في وجهها:

ـ من يكون هذا؟

ردت بارتياع:

ـ إنها ديانا.

ـ ديانا؟

ـ أجل.. إنها ستمضي الليل عندي! لقد.. نسيت تماماً.

تركها مايلز، وطوّح بذراعيه دليل إحباط، فسألته:

ـ ماذا سأفعل؟

ـ من الأفضل أن تدعيها تدخل.

استدارت إلى الباب، ثم إلى مايلز، لترمي ذراعيها حول عنقه وتقبل خده. ثم خرجت إلى الردهة الصغيرة لتفتح الباب لديانا.. وسمع مايلز التحيات المتبادلة، ثم صوتاً واضحاً مشرقاً يقول:

ـ أكنت نائمة يا رونا؟ هل أزعجتك؟

ـ لا لم أكن نائمة.

دخلا في تلك اللحظة إلى غرفة الجلوس وهي تكمل:

ـ مايلز هنا.. أنتما لم تتقابلا من قبل؟

نظرت إليها ديانا بسرعة، وأدركت على الفور أن أمراً غريباً يجري، ثم أعادت نظرها إلى مايلز لتبتسم بسعادة:

ـ لا.. لم نلتقِ من قبل.. لكنني سعيدة بلقائك الآن.. لقد سمعت الكثير عنك.

تبادل مايلز معها الحديث المهذب، وأخبرته ديانا أنها كانت في المسرح، وهكذا تكلما عن المسرحية والممثلين، إلى أن لاحظ مايلز أن رونا قد استعادت حالتها الطبيعية. ثم شاهدت ديانا صينية القهوة:

ـ أوه.. القهوة.! عظيم!

ـ إنها مصنوعة منذ ساعات، سأصنع المزيد.

قالت ديانا:

ـ دعيني أصنعها بنفسي.

ـ بالتأكيد لا.. فهي تقريباً الشيء الوحيد الذي أحسن صنعه في المطبخ.

قال مايلز:

ـ حسناً.. سأذهب الآن.. واتركهما للجدال حول القهوة.. لقد تأخر الوقت.

نظر إلى ساعته ليكتشف أن الوقت لم يكن متأخراً إلى هذا الحد..

وقالت رونا:

ـ سأرافقك إلى الخارج.. بإمكانك البدء في صنع القهوة يا ديانا.

ـ بكل تأكيد.. وأظنني أعرف مكان كل شيء.

أقفل مايلز باب غرفة الجلوس حين خرج مع رونا إلى الردهة، وأطفأ النور فيها، لترتمي رونا بين ذراعيه، ويتعانقا بلهفة..

قال مايلز:

ـ رونا.. أيتها الفتاة المجنونة.. من بين كل أمسياتنا معاً.. لماذا اخترت هذا المساء.

ـ لم أختره.. بل إنه اختارني من حيث لا أدري. أوه.. يا مايلز، كم أنا آسفة.

همس في أذنها:

ـ أكان هذا يعني الكثير لك؟

ـ أجل.. أجل!

ـ هناك دائماً غد يا حبيبتي.

تنهدت:

ـ أجل هناك الغد دائماً.

ـ متى ستذهب ديانا؟

ـ في الصباح، يجب أن تعود إلى طفلتها.. ستغادر بكل تأكيد قبل الغداء.

ـ إذن، سأحضر بعد الظهر يا رونا..

ـ يجب أن أقابل جماعة المسرح، ربما استطعت تأخير موعدهم..

ـ لا.. لا.. نفذي مواعيدك.. أستطيع الصبر حتى المساء.

ضمت نفسها إليه لتسأله بهمس:

ـ لكن هل أستطيع أنا؟

ـ من الأفضل لك.. فأنا أرفض أن يخيب أملي مرة أخرى.

أخيراً، انتزعت نفسها منه:

ـ يجب أن تذهب الآن.. تصبح على خير يا حبيبي.

خرج.. ووقفت في الظلام تستجمع شتات نفسها لمقابلة ديانا..

دخلت غرفة الجلوس في اللحظة التي خرجت فيها ديانا من المطبخ.. وابتسمتا لبعضهما.

ـ القهوة جاهزة، لكن يبدو أن السكر نفذ من عندك.

ـ هناك سكر في العلبة الزرقاء الصغيرة.

بعد إحضار السكر، جلستا أمام النار كما جلست رونا مع مايلز في وقت سابق من ذلك المساء.. وأخذت تراقب النار وهي تخبو.. وفكرت رونا أنها تشبه النار التي بدأت تخبو في داخلها.. قالت ديانا:

ـ آسفة جداً يا رونا.. إن كنت قد تطفلت على لحظات مهمة لك.

لم تستطع رونا أن تقول بأن اللحظات لم تكن مهمة.. فابتسمت بخشونة:

ـ أوه.. لا بأس في هذا يا ديانا.. أعتقد أنني فقدت القدرة على التوقيت الصحيح

ـ أرجو أن لا يكون شيئاً مهماً جداً.. هل ستتمكنين من متابعته من حيث توقفتما؟

تساءلت رونا عما إذا كانت ديانا ظنتهما يبحثان أمر عمل مهم.. المتابعة من حيث توقفتما؟ أيمكن للناس المتابعة بسهولة؟.. ردت على ديانا:

ـ ربما.. لم يكن الأمر مهماً.

ـ شاهدت صوراً لمايلز في الصحف والمجلات.. من الغريب كيف يبدو الناس مختلفين حين تقابلينهم وجهاً لوجه.

ـ وكيف كان اختلاف مايلز؟

ـ أكثر تجهماً مما كنت أظن. شخصيته أقوى بكثير مما تبدو في الصور..

ـ لكنه لا يتجهم أبداً.

ـ إذن، لا بد أنكما كنتما تتشاجران.

كانت ديانا تتحسس طريقها إلى المعلومات بحذر.. فهي لا تعرف شيئاً عن هذا الجزء الخفي من حياة رونا الخاصة.. لقد خمّنت من قبل أن مايلز مشكلة بالنسبة لرونا.. وأدركت هذا المساء أن المشكلة خطيرة ومتفجرة.. فحين وصلت الشقة، كانت رونا كالمحطمة، ولم يكن من عادة رونا أن تتحطم، ولا من عادتها الاستسلام لمشاعرها.. فما الذي

كان يزعجها؟

الحل الواضح أمام ديانا كان أن مايلز يريد الزواج من رونا، وأن رونا ترفض الزواج منه لأنها تهتم كثيراً بعملها. لكن هذا الكلام لا ينطبق الآن مع ما رأته من انزعاج رونا. قد تقلق، وينشغل بالها لهذا الأمر، لكنها لن تنزعج إطلاقاً. أيمكن أن يكون الأمر أنها ترعى حباً يائساً لمايلز؟ لكن، هناك حل ممكن آخر.

كسرت رونا الصمت بسؤالها عن ادوارد والطفلة، وأجابت ديانا.

ـ كلاهما بخير.. هذه المرة الأولى التي أترك فيها الطفلة.. ما كنت سأفعل، لكن ماغي مسافرة إلى كندا، وأردت رؤيتها قبل أن تسافر.. ثم إنني ابتهجت كثيراً في المجيء إلى هنا مجدداً.

ـ وكيف حال ماغي؟

ـ مهتاجة بالطبع.. الزواج، ووظيفة زوجها الجديدة في كندا، وكل أنواع المغامرات أمامها.. أظن أن كل صديقاتي تزوجن الآن.. وتحولن إلى زوجات محترمات مثلي.. ما عدا أنت يا رونا.

رددت رونا بجفاء:

ـ ما عدا أنا.

ـ وهذا ليس سببه نقص الفرص.. فأنا واثقة أن مايكل غارق في حبك إلى ما فوق أذنيه وسيتزوجك في الغد لو قلت كلمة.. وماذا عن مايلز؟

نظرت رونا إلى ديانا، ثم ضحكت:

ـ مايلز؟ مايلز لا يريد الزواج مني.. ولا يريد الزواج من أحد. وأظن أن أول شيء سمعته عنه من المدام، كان أنه أعزب متشدد.. وهذا صحيح.. أما عن علاقته بالنساء أوه.. بلى! إنه يفضلهن جميلات موهوبات، ساحرات.. لكن لا زوجات.

عرفت ديانا أن هذا هو ما يؤلم صديقتها:

ـ هذا عظيم.. إذ يترك الميدان فارغاً أمام مايكل، وأنا واثقة أنه ألطف من مايلز بكثير.. ثم إنك لا تستبعدين الزواج من حياتك إلى

الأبد.. أليس كذلك يا رونا؟

ـ لست أدري.. لست أدري.. في هذه اللحظات أظن أن هناك الكثير من الحديث عن الحب والزواج.. وهذا ليس كل ما في الحياة فقط..

ـ لكنه جزء كبير منها.

ـ وأنا مشغولة.. أمامي الكثير من الأعمال الجديدة التي أفكر بها.. والكثير من الأصدقاء، أكثر مما لديّ وقت لهم.. لذلك أستطيع ترك التفكير بالزواج إلى ما بعد وقت طويل.

ـ لا تتركيه كثيراً.. فأنا أوصيك به. إنه حياة رائعة للمرأة يا رونا.

تركت ديانا الأمر هنا. لم ترغب في التطفل إذ ربما كانت رونا تفضل أن تبقي مشكلتها لنفسها.. ولم تتمكن إلا تقول لها بصراحة: لا تدمري حياتك هكذا يا حبيبتي!

حملت صينية القهوة إلى المطبخ لتغسلها، ثم قالت إنها متعبة وتوددالذهاب إلى النوم.. قالت رونا إنها سترتب أوراقها ورسوماتها قبل أن تنام.. لكنها لم تتحرك إلى طاولة عملها حين ذهبت ديانا، بل جلست طويلاً أمام نار المدفأة الخابية.. مستغرقة في أفكارها.

* * *

www.liilas.com
doodle

٦ ـ تبكي حبها

أمضى مايلز الصباح التالي مع مساعده الخاص، وهو شاب نشيط حريص، اعتاد على العمل مع مايلز، ينظم له كل شيء، ثم تناول الغداء مع شريك عمل، وحضر إجتماعاً لمنظمة خيرية كبيرة، كان رئيس مجلس إدارتها.

كان هذا، فرصته الأولى، ليبعد تفكيره عمّا بدا له توافه لا أهمية لها.. وعن التفكير برونا، كما كانت ليلة أمس.. رونا التي رمت بنفسها بين ذراعيه... واستمر الاجتماع، تُليت التقارير، وضعت الحلول، حصلت على التأييد، وساهم مايلز بدوره ساهماً، فقد كان تفكيره في مكان آخر.

بريق رائع من الترقب كان ينير له يومه.. أخيراً.. وبعد طول معاناة وصبر مع رونا، سيتلقى المكافأة.. رونا.. تذكر أول يوم شاهدها فيه، الفتاة الطويلة، الحلوة الواقفة في غرفة عرض «المدام» تقلّب نماذج القماش بيديها الجميلتين. هادئة، مركزة، متباعدة. وفي الحال أحس برغبة في اختراق ذلك التباعد، وفي جعلها تعي وجوده.. لكن، بالرغم من كل اهتمامها به، لم يتمكن من اختراق ذلك التباعد، لم يكن قد انتظر أحداً لمدة طويلة كهذه في كل حياته.

على أي حال، لم يكن الانتظار مملاً. فسرعان ما أدرك أن لديها الكثير مما تقدمه، أكثر مما فكر أصلاً في أن يطلب. فلديها الذكاء والحماس، والأفكار، حتى أنه وقبل الوصول إليها، بقي سعيداً بالبقاء معها، مأسوراً، مشدود الاهتمام، ومبتهجاً. بعد حذرها الفطري منه، وبعد انخفاض وتيرة تحفظها الطبيعي، أخذت تحدثه بحماسة عن أفكارها وخططها.. تذكّر كيف كان لا ينتبه جيداً لما تقوله، بل للطريقة التي تقوله

بها.. عيناها براقتان، كلماتها ملحاحة، كل حرارتها المتحمسة مصبوبة في عملها الذي تحبه. كان يراقب الإشارات السريعة ليديها، ويريد أن يمسكهما بين يديه، ويبقيهما دون حراك.. كان قد أدرك، بسعادة لا توصف، أنها بالرغم من مرافقتها للعديدين إلى السهر والرقص والعشاء، إلا أنها لم تسمح لأحد أن يلامسها أو يغازلها.

الآن على الأقل.. سيجدان الحب معاً.. وتنفس عميقاً، متعجباً من العذاب الذي يعانيه، ومن عمق المشاعر التي أثارتها فيه.

ذلك المساء.. حين ظنها ستكون في المنزل، اتصل بشقتها، لكن دون رد. لم تعد إلى منزلها بعد.. هكذا قرر أن يتجه إلى المبنى لينتظرها في سيارته عند المدخل.. وسيراها لحظة تبرز من المنعطف، قبل أن تراه، وسيراقبها، تسير بأناقة نحوه.. ستبدو، بلا شك، سعيدة أيضاً.. وسيصعدان السلم معاً، ويدخلان الشقة معاً..

لكنه انتظر طويلاً، وكاد أن يفقد صبره... ثم ترك السيارة وذهب إلى كشك هاتف قريب ليتصل بمكتبها لكن دون رد كذلك، فالجميع قد غادروا العمل. إذن لا بد أن جماعة المسرح يؤخرونها.. فمتى بدأت مثل هذه المناقشات، يعرف أنها لا تتوقف.. لكن، بكل تأكيد، لن تسمح رونا هذه الليلة، ومن بين كل الليالي، بأن يبقونها مشغولة طويلاً.. ثم أقنع نفسه بأن ينتظر قليلاً بعد.

ثم تذكر اسم رجل كان عليها أن تقابله.. فتوجه مجدداً إلى مكان الهاتف آملاً أن يجدها عنده. لكنه أبلغه أن رونا غادرته منذ ساعات، وواضح أنها توجهت إلى المنزل.

أحسّ مايلز باهتياج قلق. هل حصل لها حادث؟ ليلة أمس كانت محبطة إحباطاً لا يحتمل.. أيمكن للقدر أن يأتي بإحباط أكبر؟.. استمر في الانتظار مع تزايد قلقه، ثم عاد إلى شقته.. فهي لن تستطيع الاتصال به وهو جالس هنا في سيارته ينتظرها.. ولا بد أنها اتصلت به هنا دون أن تجده.

لكنه لم يجد رسالة منها هناك، ولم تتصل به خلال الأمسية.. كان له بين أصدقائه مساعد مأمور شرطة، فاتصل به وتلقى بعد وقت قصير معلومات أن ما من أحد يماثل وصفه وصف الآنسة وايل ورد ذكره في تقارير الأحداث ذلك المساء.

الصباح التالي، حمل له ما يريد أن يعرف بطرقه، وبخط يد رونا.. قرأ:

«عزيزي مايلز

هذه هي النهاية.. إنه الوداع.. وداع حقيقي.. إلى أي عمق من الجنون أوصلتني؟ أنا لا أستطيع لملمة نفسي وأنا معك، ولا حتى الاحتفاظ بعقلي.. لهذا لا أستطيع البقاء معك في المستقبل. حين نريد بحث أمور عملية، يجب أن يجري هذا في مكتبي، وما عدا الأمور العملية، لا أريد رؤيتك مجدداً».

«لن تفهم هذا.. أنا واثقة.. لن تتعاطف مع صراعي.. فهذا كان أبشع نوع من الصراع في حياتي لأصل إلى هذا القرار.. لكنني حزمت أمري ولن أهجر مبادئي وطريقة عيشي التي أتبعها.. ولن أخاطر في أن أعيش ما مرّ بي في الأسابيع المخيفة الأخيرة مرة أخرى».

«أمضيت أوقاتاً رائعة معك يا مايلز.. وفي ظروف مختلفة كان يمكن أن تكون لنا أوقات أكثر روعة.. لكن كل هذا مجرد سراب..

«إذن.. وداعاً.. وأرجوك أن لا تأتي لتراني.. فلن ينتج عن هذا سوى إطالة العذاب وسينتهي إلى المزيد من المرارة».

«رونا»

أعاد مايلز قراءة الرسالة ثانية.. هكذا إذن.. طوى الرسالة وأعادها إلى مغلفها.. هكذا إذن.. هل هي ديانا التي أثرت عليها ليلة أمس؟ أم أن نور الفجر البارد هو الذي وضع كل شيء تحت أضواء مختلفة أمامها؟ لكن، وبكل تأكيد، لن تنجو مما فعلت.. إنها تحبني.. ولن تتمكن من أن تبتعد.

اتصل بها تكراراً في شقتها، لكن دون رد.. لا بد أن تتواجد هناك لبعض الوقت، وأخذ يتصل في أوقات غير معقولة، تتناول خلالها الفطور، أو تكون في الفراش.. لا يمكنها تجاهل رنين الهاتف باستمرار، بينما قد يكون الاتصال لأمر هام لعملها.. ولا بد أن يصل إليها أخيراً.. غير أنه حين فشل في كل هذا.. اتصل بمكتبها، لكن موظفة الهاتف كانت تعطيه نفس الجواب: الآنسة وايل مشغولة.. أو أنها ليست موجودة.. أو أنها خرجت. وحين حاول أن لا يعطي اسمه، لم يكن أكثر حظاً، فالموظفة تعرف صوته، وتتصرف على أساس تعليمات محددة.. هكذا، ومتجهماً، توجه لمقابلتها.

سار عبر المدخل واتجه رأساً إلى مكتب رونا، ليدق بابها بخفة ويدخل دون انتظار الرد.

كانت رونا مستغرقة في حوار عميق مع رجلين، فرفعت رأسها متعجبة لترى مايلز الذي بدا لها مصمماً بعناد جعل قلبها يخفق. هز رأسه تحية للرجلين اللذين لا يعرفهما. وسأل رونا:

ـ متى يكون من المناسب أن أراك؟

ردت ببرود:

ـ في الوقت الحاضر، كما ترى، أنا مشغولة.

ـ حسن جداً.. سأنتظر.

خرج ليجلس على كرسي في غرفة الانتظار حيث يستطيع رؤية باب مكتبها.. حين انفتح الباب بعد طول انتظار، خرجت منه مع الرجلين تبتسم وتتحدث إليهما، وكادت تنزل السلم معهما لولا أن مايلز وقف وتقدم نحوها متجهماً، فاضطرت إلى تغيير رأيها، وصافحت الرجلين، لتعود إلى غرفتها، ويد مايلز على مرفقها.

قالت له بعد أن أغلق الباب خلفهما:

ـ أنت فظ لا يمكن التسامح معه.

ـ هذا لأنني سئمت من محاولة الوصول إليك.. أين كنت؟

ـ كنت حيث أحسست بأنني سأكون حرة.. لقد طلبت منك أن لا تحاول رؤيتي.

ـ كان يجب أن تعلمي بأنني لن آبه لهذا.. فرسالتك لم تكن كافية لشرح ما كان تصرفاً مذهلاً.

ـ قلت لك في رسالتي إنك لن تفهم.. لكنها بكل تأكيد واضحة.. وقلت لك كذلك إنني لن أتخلى عن مبادئي.. وهذا صحيح.

ـ لكن.. لا يمكن أن تتغيري بين ليلة وضحاها!

ـ لكنني تغيرت.. وهذا واضح.

قرع الباب، وظهرت فتاة جميلة:

ـ الآنسة دورمون هنا، آنسة وايل.

ـ أوه.. ومتى كان موعدها؟

ـ منذ ثلاث دقائق.

ـ أطلبي منها أن تتلطف بالانتظار خمس دقائق ثم سأقابلها.

خرجت الفتاة، واستدارت رونا إلى مايلز:

ـ أنت لم تختر وقتاً جيداً مايلز.. لدي صباح كثير المشاغل.. فهل تعذرني؟

ـ ليس قبل أن تحددي موعداً لرؤيتي، كي نتحدث، ومن الأفضل أن تحددي الوقت رونا، فأنا لن أدعك ترتاحين إلى أن تفعلي ذلك.

ـ إذن.. فمن الأفضل أن يكون الوقت قريباً.. كي أتمتع ببعض الراحة.

ـ الليلة؟

ـ حسن جداً.

ـ في شقتي عند الثامنة والنصف؟

ـ ليس في شقتك.. في الخارج، في مكان ما.

ابتسم ساخراً:

ـ ألست واثقة من شجاعتك؟ أو تصميمك؟ حسن جداً يا رونا،

فليكن في مطعم.. لكن هذا وعد منك؟

ـ أجل.. إنه وعد.

اتفقا على الزمان والمكان وخرج. وحاولت رونا التركيز على قياس الآنسة دورمون.. مضت عدة أيام منذ أن أرسلت تلك الرسالة، لتقوي فيها عزيمتها، بعد أن صممت أن لا تسمح لشيء أن يهزها أبداً.

ذلك المساء، يوم عادت ديانا لتقاطعهما.. عانت رونا صدمة. جلست أمام جمر النار المنطفىء لوقت طويل بعد مغادرة مايلز، ولجوء ديانا إلى الفراش.. مصدومة مدهوشة لتصرفاتها. واضح أنها وصلت إلى مرحلة لم تعد فيها تستطيع الاعتماد على حسن تمييزها حين تكون معه.. فهذا التمييز يكون ملبداً بغيوم حبها.. وكانت تلك الليلة على وشك أن ترمي بكل شيء ليذهب أدراج الرياح.

فكرت بديانا.. فهي كانت حاضرة في هذا الجو.. ولم يفتها ما كان يجري لبلتها.. وعرفت رونا بأنها فهمت المشكلة كلها.. فحديثها الحذر دلّ على هذا.. توصيتها لها بالزواج.. وتذكيرها أن مايكل مستعد له. بالإضافة إلى أسئلتها عن مايلز، كل هذا كان له تأثيره على تفكير رونا.. صحيح أنها لم تقل لها مباشرة: «لا تدمري حياتك يا حبيبتي» لكن مشاعرها كانت صريحة واضحة وكأنها تلفظت بالكلمات.

وفكرت أكثر بديانا، بزواجها، بابنتها الصغيرة والمثال الأعلى الذي تمثله في كل شيء: لطيفة مفكرة، لبقة، تتفهم مشاكل الآخرين، حتى أنها فهمت مشكلة رونا على الفور، وعرفت رونا أنها ستستمد الشجاعة من حيث لا تدري من رفض مايلز.

هكذا أرسلت الرسالة لمايلز.. وأخذت تعزز من شجاعتها لخوض الصراع الذي كانت تعرف أن مايلز سيفرضه عليها.. وها هي تحس الآن بأنها قوية بما يكفي لمواجهته.

بدت جميلة ذلك المساء بفستان أسود.. بساطة الفستان زادت من جمالها، فهي طالما كانت أنيقة في ملبسها. كانت مذهلة: شعرها الأسود

بات أشد اسواداً، عيناها البنيتان براقتان، رموشها طويلة وكثيفة، وبياض بشرتها المائل إلى اللون العاجي برّاق.

قال لها مايلز:

ـ تزدادين جمالاً طوال الوقت.

ـ شكراً لك.

برودة الرد أعادت الكلمات إليه.. مع أنه كان محقاً، فهو طالما اعتاد على جمال النساء اللواتي مررن في حياته، لكن ليس على جمال رونا. كانت تتغير طوال الوقت.. ربما كانت تزداد نضوجاً.

طلب مايلز الطعام والشراب.. ثم استدار إلى رونا التي كانت قد استقرت في مقعدها بارتياح.. مال إلى الأمام واضعاً ذراعيه على حافة الطاولة:

ـ والآن.. فلنواجه «الغول» ونتخلص منه.

ـ وبكلمات أخرى؟

ـ أعطني التفسير الناقص في رسالتك.. وسأريك مدى سخفه.

ـ أيجب هذا الآن..؟ أريد الارتياح قليلاً.

ـ أكان يومك متعباً؟

ـ جداً..

ـ أما زال العمل يتزايد؟

ـ طوال الوقت، أتذكر ما قلته منذ زمن بعيد يا مايلز، أنني قادرة على إعطاء الناس نوعاً من الجمال، وأنهم سيأتون إلي لطلبه؟ أظن أن هذا ما يحدث الآن.

ـ طبعاً أيتها الفتاة الغبية.. لماذا تشكين في مواهبك؟ لماذا لا ترين أن نجاحك هو ما يستأهله عملك بالضبط؟ أذكر جيداً حين قلت هذا لي.. كان ذلك حين طلبت دعمي المالي.

ـ يبدو لي هذا منذ زمن بعيد.. ولا بد أنني بدوت لك يومها ساذجة.

ـ بل بدوت مجنونة.. نوع جذاب من الجنون.

ـ وكذلك فكرت أنك قد تخسر أموالك . . أما أنا فلم أفكر بهذا .

ـ كنت واثقاً أنني لن أخسرها . . وكيف بدوت لك أنا في تلك الأيام؟

ـ مخيفاً . . ماكراً . وهذا بالطبع ما أنت عليه .

ابتسما معاً، وغيرت رونا الموضوع، فقد أدركت أنه قد يقودهما إلى الوراء . . لكنه أخيراً أحس أنه لن يتحمل الابتعاد عن الموضوع . . فقال:

ـ لسنا هنا لقضاء أمسية ممتعة معاً رونا . . إننا هنا لجلاء أمور صعبة بيننا .

نظرت إليه دون كلام، فأردف:

ـ أخبريني شيئاً واحداً يا رونا: أتحبينني؟

أول ما خطر لها هو أن تتجنب الرد، وتستمر في تجنبه، ثم غيرت رأيها وتكتيكها:

ـ أجل .

قفز نور ما إلى عينيه، ولولا وجودهما في مطعم لكان هذا الاعتراف خطيراً جداً عليها، وقال:

ـ وأنا أحبك . . أكثر مما أحببت يوماً أية امرأة يا رونا .

ابتسمت ببرود:

ـ ليس هذا بالإطراء الجيد . . فبإمكاني القول إنني لم أحب أحداً من قبل .

ـ إذن كيف يمكنك نكران هذا الحب؟

ـ وكيف يمكنك جعل الوفاء به مستحيلاً؟

ـ أنا لا أفعل هذا، فالوفاء به رهن بكلمة منك .

ـ هذا إذا كان الوفاء به سيتم على طريقتك . . لكنها ليست طريقتي . فهي طريقة نكرانه أو قتله حتى . . والأمر واضح وبسيط يا مايلز . . ولست أدري لماذا يجب أن نلتف ونلتف حول الموضوع .

ـ بسيط . . ألم يكن بسيطاً تلك الليلة؟ ألم يكن بسيطاً أن تتركي نفسك على سجيتها . . أن تقعي بين ذراعي، قلت بنفسك إنك لا

تستطيعين العيش من دوني .

ـ أما الآن فقد اكتشفت العكس . . لا فائدة من هذا يا مايلز . . ولا يهم كم تتحدث، وكم تحاول إقناعي . . ذهلت من نفسي حين كان لي الوقت لأفكر . . أنا لم أخبرك يوماً عن خلفيتي الاجتماعية . . هل فعلت هذا يا مايلز؟ وأنت لم تكن فضولياً بالنسبة لهذا الأمر . . لكن لو عرفتها لما دهشت لقراري المتلهف بأن أعيش نوع الحياة التي أكون فخورة بها، وأن لا أقع على ما هو أقل من المستوى الذي قررته لنفسي . . ربما هذا أمر سهل لبعض الناس . . لكن الماضي لم يكن سهلاً بالنسبة لي . . وأنت يا عزيزي لم تحاول أن تسهّل الأمور عليّ . . فقد اضطررت إلى نضال طويل ضدك، ضد سحرك . وطريقتك السهلة مع العالم، وأفكارك وحديثك السهل . . كنت تمثل لي شيئاً أكرهه . . لكنه موجود .

أدرك ساعتها أن من تكلمه فتاة تختلف عن تلك التي عرفها ذلك المساء، الفتاة التي تعلقت يائسة به، والتي بدت وكأنها لا تستطيع العيش دونه ليوم آخر . فقال:

ـ إذن، تنكرين حبك لي . وستصبحين مبتعدة باردة، رسمية مع مرور الأيام؟

ـ ليس بالضرورة .

ـ لكن هذا ما سيحصل إذا أخفيت حبك . . فكري كيف ستكون حياتنا معاً، دافئة مليئة بالغنى والألوان . يمكنني أن أعطيك الكثير يا رونا، ولا أعني الأمور المادية . . كل قواك ستزداد عنفاً عبر حبي . . وكذلك أفكارك وإلهاماتك . . .

ـ بإمكانك إعطائي شيئاً آخر .

صمتت ترقبه بحذر، فسألها:

ـ وما هو؟

ردت بهدوء:

ـ الزواج .

ساد صمت متوتر طويل بينهما، كان خلاله مفكراً.. أخيراً قال بلهجة جديدة في صوته:

ـ هل تتخلين عن عملك للزواج مني يا رونا؟

هذا ما أذهلها فعلاً.. فاتسعت عيناها، وجمدت للحظات.. لكنها لم تستطع الوعي بالفخ:

ـ أوه.. لكن يا مايلز.. ظننت أن هذا أمر ستتفهمه دوماً. قلت إنك ستتفهمه. قلت إنك لن تحول يوماً بين عملي وبيني.. وأنت ستتفهم دائماً ما يتطلبه مني!

ـ مع ذلك أسألك.. هل تفعلين؟ صدقاً رونا هل تتخلين عن عملك للزواج مني؟

ـ لا أستطيع.. كيف سأتمكن؟ وفي اللحظة التي يتقدم فيها النجاح إليّ؟ في اللحظة التي بدأت أشعر فيها اني محررة من كل القلق والمتاعب.. ومستعدة لجني بعض المكافآت؟ ليس من العدل توقع شيء كهذا من أي إنسان.

ـ بكلمات أخرى: لن تفعلي.

ـ لماذا تطلب هذا مني؟

ـ من المهم لي أن أعرف.. هل تفعلين؟

ردت كارهة:

ـ لا.. لا أظنني أستطيع.

ـ أترين.. حياتك عزيزة عليك، ولن تغيريها، بالرغم من حبك.. فهل أنا أناني أكثر منك يا رونا..؟ هل أتمسك بما أحبه في حياتي أكثر منك؟ في مثل حالتي إنه عملك، وفي حالتك، هو استقلاليتي.. أنت تحبينني، لكنك لن تتخلي عن عملك لأجلي.. وأنا أحبك، ولن أتخلى عن استقلاليتي لأجلك.. فهل ألام أكثر مما تلامين؟

ـ حسن جداً.. لكن هذا لا يغير ما هو أساسي.. رسالتي ما تزال قائمة ويجب أن تتقبّلها.. وأن لا تزعجني مستقبلاً.

ـ وهل هذا أمر نهائي؟

ـ أجل.. إنه نهائي.

ـ حسن جداً.. سأتقبله.. وسيكون اتصالنا على أساس عملي، ولا شيء غيره.

لا شيء غيره! الكلمات كوّنت نوعاً من التوتر داخلها، ظهر للحظات في عينيها.. وفكر مايلز بأنها لن تتمكن من التحمل.. وستعود إليه.. وقالت:

ـ وهذا ما يوصلنا إلى أمر آخر يا مايلز.. إلى العمل.. ألا تريد أن تسحب دعمك؟

صاح بغضب:

ـ وماذا تظنين بي؟

ـ أنا آسفة.. أحسست أنني يجب أن أتأكد.. وأنا لم أفكر لحظة أنك قد تفعل.

انتهى العشاء، وشربا القهوة، ولم يبد هناك ما ينتظران لأجله.. فقال:

ـ سأوصلك إلى بيتك.

ـ لا.. أفضل أن آخذ التاكسي.. شكراً لك.

خرجا معاً إلى الشارع المظلم.. ريح خريف منعشة كانت تلسع أوراق الشجر تطاردها من فوق الرصيف. فقالت رونا:

ـ سرعان ما سيأتي الشتاء.

ـ إنه الوداع.. إذن؟

ـ أجل.. الوداع.

ـ لكن، حين تحتاجين إلى نصيحتي، لن تترددي في طلبها مني؟

ـ لا.. لن أتردد!

ـ وسيكون من الضروري أن نجتمع أحياناً لنناقش أمورنا المادية.

ـ في مكتبي.

ـ فهمت.. حسن إذن.. وداعاً رونا.

مد يده لها فوضعت يدها في يده.

ـ وداعاً مايلز.

ـ تعرفين أين تجدينني إذا احتجتني. وإذا غيرت رأيك تعرفين أين أكون.

أبعدت رونا يدها قائلة:

ـ سأخاف أن أتطفل عليك. ألم يخطر ببالك يا مايلز أن امرأة قد تكره أن ترى نفسها كحادثة حصلت في لائحة غرامية طويلة؟ وأنها قد تكون أكثر كبرياء من أن تقبل بالانضمام إلى هذه اللائحة؟ وأنها قد تنظر إلى يوم لا تعود فيه محبوبة ومرغوبة؟ ألم يخطر ببالك يوماً أن النساء يحبين الأمان؟

ـ أنت يا رونا، لم تخافي يوماً أن تخاطري.. فلقد كانت المخاطرة تثيرك.

ـ بعض أنواع المخاطرة.. أجل.. لكن ليس هذا النوع، فأنا أرغب في الأمان أيضاً. حين ينتهي تأسيس عملي بثبات.. قد أرغب في أشياء ترغبها كل النساء.. ربما الزواج والأولاد، فأنا لا أحب أن أعيش وحيدة دائماً.

كانا ما يزالان واقفين على الرصيف.. وقال:

ـ أولاد؟ أنت رونا؟ بالتأكيد هذه انطلاقة جديدة.

ـ كل صديقاتي متزوجات الآن. فهل تظنني سأقنع بأن أمضي حياتي أتشوق إلى ما يقال بأنه أعظم تجربة للنساء؟ وما تملكه كل صديقاتي؟ قد أكون امرأة عمل.. لكنني امرأة.. وإنجاب الأولاد عمل امرأة.

ـ أنت لا تريدين خسارة شيء أبداً.. أليس كذلك؟

صمتت لحظات، وعيناها في عينيه. ثم قالت بصوت حزين:

ـ يبدو لي أنني سأخسر الكثير.

برزت سيارة تاكسي عبر الطريق.. كان العديد منها قد مرّ بهما، لكن

رونا سارعت في استدعاء هذه، فتوقفت أمامهما.

فتح مايلز لها الباب، ودخلت.. وقف يراقب السيارة منطلقة، وغاصت رونا في المقعد الخلفي، والتعاسة تغمرها. أحست أنها ستغرق في الحزن الذي يشدد قبضته عليها.. في داخلها شيء ميت كان يمكن له أن يكون حياً.. هاهنا شيء لم يكتمل كان يمكن له أن يبقى ويزهر ويزداد جمالاً. وسرعان ما تدحرجت الدموع التي كانت تحرق عينيها فوق خديها.

حين توقف التاكسي أمام المبنى، خرجت رونا منها. مستغرقة في حزنها.. وبدأت المسير.. لكن السائق ناداها، فاستدارت إليه. وشاهد الدموع على وجنتيها.. فقال بصوت منخفض:

ـ لم تدفعي لي الأجرة.

ـ أوه.. كم تريد؟

وبدأت تفتح حقيبة يدها، وأعطته جنيهين ثم استدارت ثانية.

ـ الباقي مدام.

لكنها لوحت بيدها وتابعت السير.

دخلت رونا إلى شقتها، ممتنة أنها فارغة، ثم إلى غرفة الجلوس. رمت المعطف الجميل فوق الكرسي، ثم غاصت في الأريكة ورأسها إلى الوراء.

حسن جداً.. لقد فعلتها.. أخيراً: إنها النهاية.. ولم أرتجف لحظة!

وضعت وجهها بين يديها وبكت.. بكت وحدتها.. بكت رغبتها.. بكت إحباطها.. بكت حبها الذي أنكرته!

* * *

٧ ـ هل تجرؤ على الشوق؟

أمضت رونا ذلك الميلاد، تلك السنة، مع ديانا وزوجها في المزرعة. وصل أبوا ديانا من قريتهما، وكذلك أبوا ادوارد من منزلهما الزراعي الجديد، وكان مايكل يأتي كل يوم من مزرعته بعد إكمال الأعمال الضرورية فيها، تاركاً ما تبقى لأحد رجاله.

هكذا غرقت رونا في جو بيتي كله بهجة.. كانت قد تلقت عدة دعوات لسهرات الميلاد. فمنذ انفصالها عن مايلز، أصبح لديها الوقت لإعادة الاتصال بالكثير من الأصدقاء، لكنها كانت سعيدة لاختيارها المجيء إلى هنا.. فهي تعرف أن والديْ ادوارد يحبانها، إضافة إلى الجميع..

والدة ديانا كانت سعيدة بوجه خاص لرؤيتها.. وكانت تراقبها طوال سهرة الميلاد، ملاحظة بسعادة كم أصبحت جميلة. وفكرت بطفولة رونا، كانت شاحبة نحيلة، كلها ذراعان وساقان وعينان سوداوان واسعتان، وكومة شعر أسود لم يعرف الفرشاة قبل أن تتولاه هي.. متباعدة، متحفظة، خائفة، مزاجية، أمضت أشهراً من المعاملة الحذرة دون انقطاع لتخرجها من قوقعتها.. لطالما كانت موهوبة، لكن ما من أحد اكتشف موهبتها أو حاول تشجيعها إلى أن أصبحت زائرة دائمة لمنزل ديانا.. كان لها دائماً موهبة ابتداع الجمال، لكن كان من السهولة أن تتدمر هذه الموهبة.. أما الآن فقد أزهرت، وأصبحت مصدر جمال.. وأحست السيدة لايونز بالفخر للدور الذي لعبته وزوجها في تطوير حياة رونا.

لكن، أكان كل شيء على ما يرام بعد كل هذا في حياة رونا؟ حين كان المرء يراقبها في غفلة عنها، كان يلاحظ الحزن والتشاؤم يلفانها. لم

تكن تبدو سعيدة. وفكرت السيدة لايونز: حسناً.. إنها لم تبد يوماً سعيدة.. إنها ليست مثل ديانا.. لم تكن يوماً راضية، لطالما كان الطموح يدفعها.. مع رغبة في إثبات أنها أفضل بكثير من معظم الناس. النجاح في العمل رائع.. لكنها تحتاج إلى شيء أكثر دفئاً من هذا. إنها تحتاج إلى الحب.. أن تحب وتُحَب.

كان واضحاً لجميع من في المنزل أن رونا محبوبة.. فمايكل لم يألُ جهداً في إبراز تعلقه بها.. وأمل الجميع أن يخرج من كل هذا زواج فاعطوهما الفرصة ليكونا معاً.. لكن وصول أبناء شقيقة ادوارد وضع حداً لهذه الفرصة، فقد أحب الأولاد مايكل وتبعاه حيث ذهب.. وكان رائعاً في تسليتهم.. لكن حين ذهب بعد ظهر اليوم التالي للميلاد إلى المزرعة مع ادوارد لمراجعة بعض الأمور الضرورية، تولت رونا أمر الأولاد الثلاثة، وهكذا تمكنت ديانا وأم الأولاد أن تتحدثا وهما تحضران الشاي دون أن يلهيهما الأولاد.

أدخلت رونا الأولاد إلى غرفة الجلوس الصغيرة، حيث كانت نار قوية تشتعل في المدفأة، لتبعدهم عن الطريق.. وأخذت تلاعبهم ألعاباً مختلفة إلى أن لاحظت التعب عليهم فأخذت تقرأ لهم من أحد الكتب الجديدة.. وأطلت ديانا من الباب لتقول:

ـ هيا جميعاً.. الشاي جاهز.

صاح الصبيان بفرح:

ـ الشاي.. تعالوا!

قالت رونا متعجبة:

ـ لا يمكن أن يكون في معدتكم مكان للشاي بعد غداء الميلاد الدسم.

قال بيتر وهو يتجه إلى الباب يلحق به أدي الصغير:

ـ سنتناوله بكل سرور.

انتظرت ماغي تحرك رونا، لكنها بقيت في مكانها على الكرسي:

ـ اذهبي ماغي، سألحق بكم بعد دقيقة.

أقفل الباب خلف الفتاة الصغيرة، وبقيت رونا لوحدها. النار كانت قد استقرت لتصبح جمراً أحمر متوقداً.. بعد ظهر أحد أيام كانون الأول كانت الظلمة تهبط مبكرة.

لأول مرة منذ الصباح الباكر، كانت لوحدها، على الفور تسارعت الأفكار التي ابتعدت عن رأسها وعادت تتدافع من جديد. وأدركت أنها تحتاج إلى لحظات عزلة لتفكر بمايلز. بالأمس وصلتها هدية منه بمناسبة الميلاد.. حصان صغير محفور بدقة وجمال على حجر من الجاد الأخضر.. وخمنت أنه لا يقدّر بثمن.. وأحبته لجماله، وجاءت به معها إلى المزرعة، لأنها لم تتحمل أن تتركه.. فهو قد أعاد مايلز إلى أفكارها.. ماذا يفعل الآن؟ مع من يمضي عيد الميلاد؟ من الأمان لها أن تفترض أنه لا يمضيه مع حفل عائلي كهذا، ومن الأمان كذلك أن تفترض أن أنثى جذابة تشاركه سهرته.

لطالما كانت سمعته توحي بأنه زير نساء. فلماذا أتوقع منه التغيير لأجلي؟ بكل تأكيد لم يوح إليّ يوماً أنه يريد الزواج مني.. فإذا كانت النساء غبيات مثلي للوقوع في حبه.. حسناً..

لكنها تشتاق إليه.. تشتاق إلى الأمسيات التي كانت تقضيها برفقته، والعشاء في شقته، وسماع الموسيقى معه وهما يتحدثان، أو يتعشيان في الخارج، يذهبان إلى الحفلات الموسيقية والمسارح.. صحيح أنها ما زالت تفعل هذا مع أشخاص آخرين، لكن الأمر لا يتساوى، فهؤلاء الآخرون ليس لهم لمسته الواثقة، ولا طريقته في جعل كل شيء ممتعاً ومثيراً للاهتمام.

إنها تشتاق إليه الآن.. في هذه اللحظات.. تشتاق إلى وجوده الجسدي الواثق من نفسه.. أن تغمض عينيها وتتذكر عناقه، أمر فيه تعذيب لنفسها، لرغبتها في أمر لن يتحقق.

فجأة أحست بشخص معها في الغرفة.. فقد انفتح الباب بنعومة،

وخطوات واسعة ثابتة، أوصلت مايكل إلى جانبها.

ـ ما هذا يا رونا؟ أنت لوحدك في العتمة؟ وكأنك سندريلا الصغيرة؟

كان صوته عميقاً هادئاً، مما دفعها إلى التنهد.

ـ أوه.. مايكل!

الشوق للمستحيل كان ما يزال في صوتها.. فاشتدت ذراعه حول كتفيها، فاستدارت إلى ذراعيه دون تفكير، حيث احتواها بشدة، بأمان وطمأنينة. وأصبح خدها على كتفه، وشاهد عينيها تغمضان والرموش الكثيفة تلامس خديها. قال بنعومة:

ـ أرسلوني لأجيء بك لتناول الشاي.. لماذا أنت حزينة يا رونا؟

للحظات لم يكن لديها رد. كانت تحاول استعادة توازنها بعد التفكير بمايلز.. أخيراً قالت:

ـ كنت بلهاء، وأحس بالوحدة.. مع وجود ديانا والأولاد، وجميعكم، كم أنا غبية.

لاحظ مايكل الترتيب الذي ذكرت به الجميع.. وهو لا ذكر له فيه.. فضمها إليه أكثر.

ـ لا داعي للشعور بالوحدة.. فأنا معك دائماً.. وسأكون سعيداً جداً إذا خلّصتك من لحظات وحدتك.

ردت بهدوء:

ـ أعرف هذا يا مايكل.

حين حاول أخيراً أن يتركها، لم تتركه، بل شدت ذراعيها حول عنقه، هامسة:

ـ لا تتركني!

بسعادة همس: حبيبتي.

هبطت الجمرات الكبيرة في قعر الموقد مصدرة صوتاً خفيفاً أجفلهما.. فاشتدت عتمة الغرفة. وقال مايكل:

ـ أرسلت لأجيء بك لتناول الشاي.

ـ سيضطرون لإرسال من يأتي بك!
ـ لا تريدين الشاي؟
ـ بلى، سأحب شرب فنجان ساخن.
ـ ألست حزينة الآن؟
ـ لا.
ـ عزيزتي.. لست طفلة.. وأعرف كما تعرفين أن هنا...
قاطعه فتح الباب، ليدخل بعض النور إليهما من الردهة.. ووقف بيتر يقول:
ـ ألن تأتي يا عمي مايكل؟ سنقطع قالب حلوى الميلاد.. أسرع!
ضحك مايك وقال:
ـ أجل.. نحن قادمان.. هيا بنا رونا، ستحصلين على فنجان الشاي الذي ترغبين فيه.
دخلا غرفة الطعام، حيث كان الشاي يكاد ينفذ.. ونظرت ديانا إلى رونا متفحصة:
ـ كنت سأرسل بعض الشاي لكما.. لكنني ظننتكما لا تريدان تفويت فرصة قطع قالب الحلوى.
أجاب مايكل:
ـ لا.. لا نريد أن يفوتنا هذا.
وجلس ما بين بيتر والسيدة لايونز، محاولاً النظر إلى عيني رونا عبر الطاولة، لكنها لم تنظر إليه. أخذت الشاي من ديانا، وبدأت الحديث اللطيف مع والدة ادوارد. لكن، خلف الحديث المهذب، كانت توبخ نفسها: لا يمكنك فعل هذا يا رونا.. لا يمكنك أن تكوني بين ذراعي رجل فيما أنت تفكرين بآخر.. هذا أمر غير محتشم.. مايكل ألطف من أن تعامليه هكذا. وله شخصيته، ومن حقه أن لا تستغليه هكذا.. لا يمكنك أن تغشيه.. إما أن تقبليه لشخصه أو لا تقبليه أبداً.
فرصة كلامهما معاً لم تأت قبل أن ذهب الجميع إلى النوم.. أوصل

مايكل الأولاد وأبواهم إلى منزلهم بعد العشاء مباشرة.. وبقيت رونا تساعد السيدة لايونز في تنظيف الصحون.. بعد ذهاب الكبار في السن إلى النوم، جلس ادوارد وديانا، مع رونا ومايكل ينعمون بهدوء ناعس.. لكن سرعان ما قالت ديانا:
ـ حسناً.. طفلتي الصغيرة ستوقظني باكراً، لذلك من الأفضل أن أذهب إلى الفراش، لكنكما لستما مضطرين لإتباع طريقتنا الريفية.. إذا أردتما البقاء والحديث قرب النار.
هكذا أخذت ديانا زوجها إلى النوم، تاركين غرفة الجلوس لرونا ومايكل، الذي دفع بالأريكة أقرب إلى النار ووضع فيها حطباً، ليجلس قرب رونا مع تنهيدة استرخاء ورضى.. وسألها:
ـ ألست متعبة؟ كان يوماً طويلاً.. والتجمعات العائلية مرهقة قليلاً.
ردت:
ـ متعبة لكن سعيدة.
ـ لو كنت أقل تباعداً على الأقل، وابتعدت عن هذه الزاوية، لتمكنت من الراحة على كتفي.
مد يداً مرحبة نحوها، فتحركت لتقترب منه، وتضع رأسها بارتياح على كتفه، وذراعه حولها.. وقالت:
ـ أحب التجمع العائلي.. خاصة مثل هذا التجمع الودي، فأنا أسكن لوحدي طوال الوقت.
ـ أجل.. وسكنك لوحدك ليس جيداً لك.
صمتت رونا.. فأكمل مايكل:
ـ أظنك ستفكرين بأنني سأتقدم بطلب آخر للزواج. لكنني لن أفعل، أعرف أنك لا تريدين أن تتزوجي الآن. وأنا أحترم رأيك هذا، لأنني بقدر ما أرغب في أن أتزوجك، أدرك أن كل هذا العمل الذي بنيته بجهد، يعني الكثير لك.. ولماذا لا يكون الأمر هكذا؟ لا يمكن للجميع أن يفعل مثلك! ليس للجميع موهبتك وحماستك.. فلماذا تتخلين عن النجاح

الذي طالما كنت تتوقين إليه. فيما بعد يمكن أن ترغبي في هذا، ومتى رغبت في الزواج، أريد أن أكون موجوداً لأكون من تختارين.. لا.. أنا لا أطلب منك الزواج مني الآن.. لكنك تعرفين كما أعرف..

ابتسمت رونا تقاطعه:

ـ آه.. ها قد وصلنا إلى هذا.

ـ تعرفين أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده.

ـ وماذا تعني بهذا؟

ـ لا تسيئي فهمي.. ولا تفهمي كلامي خطأً، أنا لا أقترح أن نصبح عشيقين.. سأنتظرك إلى أن تقبلي بالزواج مني. أقترح فقط أن نوفر لبعضنا القدر الأكبر من السعادة حتى ذلك الوقت.

أمسكت يده ترفعها لتضع خدها عليها:

ـ لست أدري لماذا لا أحبك.. أنت ألطف رجل قادني حظي الطيب إليه.

ـ لا تجعليني أبدو نبيلاً هكذا. فأنا أقدم الطعم لاصطياد السمك.. ويجب أن تفهمي هذا.

ـ لا.. لن أفهم هذا.. وأظنك رجلاً حبيباً.

شدها لتستند إليه، وضمها بين ذراعيه.. لكنها هذه المرة لم تغمض عينيها.

في اليوم التالي، أخذها مايكل في سيارته لبعض الوقت، ثم عادا إلى منزل ديانا لغداء متأخر. كان يوماً بارداً، رفعت رونا فيه ياقة معطفها حول وجهها، وارتدت قبعة من الفرو.

فجأة أوقف السيارة إلى جانب الطريق:

ـ جئتك بهدية من منزلي هذا الصباح.. سأعطيها لك قبل أن نصل منزل ديانا.

أخرج من جيبه علبة صغيرة أعطاها لها، فقالت تحتج:

ـ لا يجب أن تأتيني بالهدايا!

لاحظت على الفور أنها علبة حليّ، وغاص قلبها.. فهي لا ترغب أن تقبل حلية غالية الثمن من أي كان.. ولا حتى منه. لاحظ مايكل ترددها:

ـ افتحيها.

فتحتها.. لتجد عقداً قديم الطراز من العقيق الأحمر في إطار ذهبي ثقيل، وشهقت سعادة.. فقال:

ـ إنه لأمي.. وكان لأمها من قبلها.. والآن أريدك أن تأخذيه.

ـ أوه.. لا! إنه شيء يجب أن تحتفظ به لزوجتك.

ـ ربما سيصل الحال إلى هذا المستوى.

ـ لكن، ربما لا.. حبيبي.

ـ في مطلق الأحوال أريدك أن تأخذيه. أرجوك رونا.. فهذا سيمنحني السعادة.

ابتسمت له، ثم ترددت فترة طويلة، وأقفلت العلبة.

ـ سآخذه.. وسأعتبره إطراءً كبيراً لي. أوه.. مايكل.. لماذا لم تقع في حب فتاة لطيفة صريحة ترمي نفسها بين ذراعيك وتتزوجك في الحال وتجعلك سعيداً؟

ـ لأنها ليست النوع الذي أريد، أنا أريد اللامعة، المذهلة، الموهوبة رونا وايل.. مع أنني أسأل نفسي عن سبب تهوري في الوقوع بحبك.

ردت رونا بتعاسة:

ـ هذا أمر مؤلم جداً تقوله لي.. أي امرأة ستكون فخورة بحبك لها.. أنا فخورة.. لكنني مجنونة لأنني لا أتمكن من رد حبك لك.

ـ ستفعلين في يوم ما.. ستفعلين، لا تدعي هذا يزعجك.

لم ترد رونا بل أمسكت بالعلبة بين يديها، وتمنت عبثاً لو أن المرء يستطيع أن يحب بناء لأمر محدد.. وتساءلت ما إذا كان بالإمكان يوماً ما أن تضعف ذكرى مايلز من رأسها، وتتمكن من أن تحب مايكل.

كان من المريح بكل تأكيد أن تحصل على دعمه في أسابيع الشتاء التي تلت.. تقابلا باستمرار، دون أن يهمل مايكل مزرعته، أو تهمل رونا

عملها.. وكأمر حتمي، نضجت الحميمية بينهما ببطء، إلى أن أصبحا مرتاحين تماماً مع بعضهما.

ثم جاءها بريد الصباح برسالة من مايلز.. تعرفت على خطه قبل أن تفتح الرسالة، وخفق قلبها.. لفترة لم تستطع فتحها، وجلست أمام صينية الفطور التي كانت تحملها في يدها، تتساءل عما تحتوي.. ببطء فتحت المغلف وأخرجت الرسالة لتقرأ:

«عزيزتي رونا.

أرسل لك «مهرانة» (أميرة هندية) مشهور عنها أنها تساوي ثقلها ألماساً. وبإمكانك أن تعرضي عليها كل الأشياء الجميلة الغالية الثمن، وحتى المبالغ فيها. قلت لها كم أنك رائعة، وأعطيتها صورة فخمة عنك.. لذلك أرجو أن تقابليها في أحد أيامك المتحمسة الفاتنة، وليس في يوم صامت تعيس».

«اشتقت إليك يا رونا.. ألا يمكننا تناول العشاء معاً في أمسية ما..؟ لمجرد تبادل أخبار بعضنا؟ لا شيء يمكن أن أحبه أكثر.. أرجوك، اكتبي لي أنك راغبة في اللقاء. المخلص لك.. مايلز».

جلست رونا دون حراك، ونسيت قهوتها، وكذلك الفطور. نظرت مفكرة إلى الرسالة، وفي رأسها صورة مايلز وهو يكتبها. لطالما شاهدته في شقته يجلس ليكتب مذكرة أو رسالة إلى شخص ما.. فهل كتب هذه بنفس الطريقة المهملة التي كان يكتب فيها غيرها؟ أم أنه أطال التفكير بما سيكتب؟ يقول باختصار بارد إنه اشتاق إليها.. اشتاق إليها.. عجباً! لو أنه اشتاق إليها عشر ما اشتاقت إليه..

لم ترد على رسالته في الحال.. قابلت «المهرانة» أولاً، وأحست بسحرها، وألهمها جمالها الهندي الأسمر، إلى درجة أن أبدعت لها في التصاميم.. وتلقت منها طلبات كانت تقرباً في غاية الإسراف والتبذير.

بعدها كتبت لمايلز:

«عزيزي مايلز.

شكراً لك على إرسالك «المهرانة».. أحببتها من أول نظرة لها.. وأحبت بدورها كل شيء أريته لها.. بما في ذلك «أنا» على ما يبدو.. لأنني تلقيت عدة دعوات لزيارة عدة أماكن إقامة لها في الريفيرا أو الهند.. وبهذا ستفهم أنني أحسنت التصرف معها، وان قلقك لم يكن مبرراً».

«أعطتني طلباً مذهلاً، ونحن الآن نعمل به بجهد، وإذا استمرت الأمور هكذا، سأتمكن من خفض مبلغ الدين مرة أخرى هذه السنة. وأعتقد أنني مضطرة مرة أخرى لزيادة عدد العاملين عندي. لكن مشكلتي، مثل مشكلة كل أرباب العمل (ألا يبدو لك هذا أمراً له أهميته؟) الصعوبة تكمن في إيجاد من يناسب.. صحيح أن رستون تساعدني وتلازمني، لكن لها حدودها، وأنا أريد فتاة لها صفات مختلفة، تشبهني، تستطيع أن تصمم وتنفذ، وتقابل الزبائن وما إلى ذلك.

«أما بالنسبة للعشاء مايلز، فشكراً للدعوة، لكنني آسفة.. لا أظنني سأتمكن، فأنا أعمل خلال معظم الأمسيات إلى وقت متأخر».

المخلصة «رونا»

فكر مايلز ملياً بالرسالة، كما فكرت هي برسالته. ولم يشك مطلقاً بالطريقة التي كتبتها بها.. لقد أخذت وقتاً طويلاً لتحقيق هذا المزيج من التودد والبرود. ولم ترغب في إخفاء أسرارها عنه بالكامل، كتبت عن العمل، عن المهرانة وجمالها، لكن في الأمور الشخصية.. كانت مصممة عنيدة كما هي دائماً.

لم يخدعه تذرعها بالعمل الشاق المتأخر.. فقد شاهدها مع مايكل وهما يخرجان من المسرح في الأسبوع الماضي. ولاحظ صداقتهما الحميمة، وتصرفهما الطبيعي مع بعضهما. واكتشف أنه امتعض لهذا.. امتعض لواقع أن رونا استطاعت أن تجد في رجل آخر ما تريده وهذا أمر جديد بالنسبة له، فهو حين كان ينهي علاقة حب مع امرأة، لم يكن يأبه لما يحدث لتلك المرأة..

رونا كانت مهمة. علاقتهما كانت مميزة.. ساعدها، وأرشدها، أشرف عليها، أسدى النصح لها، والتجأت إليه بكل ابتهاج ليساعدها في عملها. وهذا ما أسس رباطاً خاصاً بينهما.. وجعلها تبدو وكأنها ملك له بطريقة حميمة جداً. لا علاقة لها بالحب مطلقاً.

النساء الأخريات، جعلن منه اهتمامهن الرئيسي. لكنه لم يكن هدف رونا الرئيسي.. بل كان اهتمامها هو عملها، ولأنه كان ضرورياً لبدايتها، سعت لمصادقته.. هنا توقف تفكير مايلز.. هل سعت حقاً لمصادقته؟ ألم يكن هو من أسر بها منذ لحظة وقع نظره عليها؟ ألم يكن هو من دعاها للغداء معه؟ إنها بكل بساطة اغتنمت الفرصة التي قدمها القدر إليها!

كان قد كتب لها صادقاً أنه اشتاق إليها.. اشتاق إلى كل شيء.. إلى صحبتها.. وإلى ماذا اشتاق بعد؟.. لديه تصور معتم لذكراها بين ذراعيه، ما زالت تنضح حباً.

فجأة، مزّق رسالتها ورماها في سلة المهملات. كيف تجرؤ أن تكتب له رسالة باردة كهذه، مخادعة مماطلة؟ إنها لم تنتهِ منه بعد.. وهذه المرة، على غير عادته، لن يقنع في السماح لامرأة أن تنفذ ما تريد على حسابه، أن تفارقه كصديقة، تقبله وداعاً وترحل. وأحس بعدم الراحة، بالقساوة داخله، إلى درجة التوحش والعناد. أراد أن يخضع كبرياءها.. أن يسود على عنادها، أن يفرض إرادته عليها..

مع ذلك كان يعلم عدم جدوى الاتصال بها عبر القنوات العادية.. سترفض بكل بساطة أن تقابله، يجب أن يفتش عن فرصة أخرى.. بعد أسبوع أو يزيد، قدمت له الفرصة نفسها.

كان يتناول العشاء في مطعم مع ممثلة شابة، حين نادته امرأة متوسطة العمر، كانت ابنة عم بعيدة له. وجاء الساقي لها بكرسي لتجلس معه بضع دقائق.

- يجب أن لا أتأخر يا مايلز، أنا مع براند وخطيبته لكنني أود معرفة كل أخبارك.. ظننتك في برمودا.

- كان هذا في عيد الميلاد، تبدين رائعة باميلا.

- أوه.. حسناً.. أنا أكثر نحولاً، لكن السبب الرئيسي هو مصممة الأزياء التي أرسلتني إليها.. إنها تجعلني مرتاحة جيداً، ومع ذلك أكثر أناقة مما كنت أبداً. أنا أذهب دائماً إليها الآن.

- رونا وايل.

أحب أن يلفظ اسمها بصوت مرتفع.

- أجل.. أظنني سأجعلها تصنع لي ملابس الربيع في بداية نيسان، لحفلة ميلاد التوأم.

- حفلة ميلاد التوأم! هذا غير ممكن، إنهما ما يزالان في المهد.

- لا تكن سخيفاً يا مايلز، إنهما الآن في الثامنة عشرة وهما ستزهران هذا الربيع.. يجب أن تحضر الحفلة الراقصة.

- في المدينة؟

- لا بل في «فوكسود» المكان أجمل هناك بوجود الأضواء على التراس وفي المستنبت الزجاجي.. ستأتي. ألن تفعل؟

- سأفعل بكل تأكيد.. ويجب أن تكلفي رونا بصنع ثياب التوأم.

- أوه.. طبعاً.. لكن هل هي بارعة مع الصغار كما هي بارعة مع الكبار؟

- عزيزتي باميلا.. بل أكثر براعة.. على أي حال هي صغيرة شابة.. إنها تصنع أشياء مذهلة لصديقة لي، مهرانة هندية، وربما تكون مشغولة جداً الآن.

- سأرسل الفتاتين لمقابلتها سريعاً..

- اصنعي شيئاً لأجلي، أتفعلين؟

- طبعاً يا مايلز، أي شيء ترغب فيه، إذا استطعت.

- اطلبي منها حضور الحفلة.

- رونا؟ أليس هذا أمر غير عادي يا مايلز؟

- أبداً.. أريدها أن تكون هناك.

ترددت المرأة. فأضاف:

ـ لا أتصورك تترددين في إسداء معروف لها.. ولا تقولي لها مطلقاً إنني سأكون هناك، وإلا فلن تحضر.

ـ كم هذا الأمر مثير للعجب.. وأظن لا فائدة من السؤال عما وراء هذا؟

ابتسم:

ـ لا فائدة إطلاقاً.

ـ حسن جداً.. سأفعل ما تقول.

ودار الحديث حول شؤون العائلة إلى أن تذكرت ابنة عم مايلز من يفترض أن تتناول العشاء معهم وذهبت.

* * *

www.liilas.com
doodle

٨ ـ أعد لي قلبي!

كانت رونا في مكتبها حين اتصلت بها عاملة الهاتف تبلغها أن الآنسة إميليا هودج وصلت.. بينما كانت بانتظار صعود الفتاة إلى مكتبها، أخذت تراجع آخر المعلومات عنها.. كان هناك رسالتان منها، الرسالة الأولى كانت تقدّم الآنسة هودج، وأبرزت بصراحة ودقة أهدافها في الحياة، وطموحاتها، قدراتها، ورغبتها في العمل مع الآنسة وايل.. الرسالة الثانية، كانت تدعو الآنسة وايل لرؤيتها ورؤية بعض من أعمالها.. وتردد أن الآنسة هودج تفضل العمل مع الآنسة وايل بدلاً من غيرها في لندن.

في الستتين اللتين أدارت فيهما رونا عملها، وفي السنوات العديدة السابقة التي أمضتها مع «المدام» أدركت أن العاملات المثاليات نادرات التواجد.. فالأشخاص الجيدون، يعملون في وظائف محترمة.. حيث يقدُّرون حق قدرهم ويحتفظ بهم. البعض الآخر، يمكن تدريبه، لكن يستلزم هذا وقتاً وصبراً.. مع ذلك، كانت تستبقي أملاً حياً داخلها في أن تجد يوماً من الأيام من ترغب في أن تكون التالية بعدها. من تكون أفكارها تتماشى مع أفكارها الخاصة، مع ذوق جيد، وما يكفي من سلطة للتعامل مع موظفات المشغل. وما يكفي من اللباقة للتحدث مع الزبائن بثقة وسهولة.

لم تكن تعتقد أن الآنسة إميليا هودج هي هذا الشخص.. فهي صغيرة جداً.. في الثالثة والعشرين.. بينما رونا في السابعة والعشرين.. ولا تظنها رونا ذات خبرة كافية.. مع ذلك، قد تكون مساعدة مستقبلية ممكنة لها، ولا شيء ستخسره في مقابلتها.

هكذا، جلست في مكتبها تنتظر إميليا هودج.. حين وصلت، تقدمت بسرعة ولهفة، والابتسامة على شفتيها، عيناها مضيئتان بالسعادة، ومدت يدها عبر الطاولة لتصافح رونا قائلة:

ـ أنا سعيدة جداً آنسة وايل، لأنك قبلت أن تريني. لا تتصوري كم كنت آمل أن تفعلي هذا.

هذا لم يتوافق مع فكرة رونا عن كيفية إتمام هذه المقابلة.. بعد مصافحة الفتاة، طلبت منها بأدب أن تجلس. وهذا ما فعلته الآنسة هودج، وضعت حقيبة أوراقها على كرسي إلى جانبها، جلست مستقيمة، متيقظة، وركزت عينيها اللامعتين على رونا، وكان الإعجاب ظاهراً فيهما دون أدنى شك. قالت رونا:

ـ الآن.. الشيء الوحيد الذي أعرفه عنك، هو رغبتك في المجيء والعمل هنا.. لماذا؟ وماذا يمكنك أن تفعلي؟ ولماذا أردت هذه المؤسسة أكثر من غيرها؟

ابتسمت الفتاة:

ـ يمكنني الإجابة على السؤال الأخير أولاً.. أريد العمل في مؤسستك لأنني معجبة بكل أعمالك. تصاميم الملابس هي بالضبط التي أصممها لنفسي. ويبدو أن هناك صلة خفية بيننا.. كما أنني أريد تعلم فن خياطة الملابس.. وأنت وصلت إلى القمة وأنت صغيرة جداً، إلى درجة جعلتني أؤمن بأنك ستتعاطفين مع مصممة شابة.. كما أنني لست سيئة، وسرعان ما ستكتشفين بنفسك ما أستطيع أن أفعله..

صمتت.. كأنها قالت كل ما هو ضروري، فابتسمت رونا، فقد وجدت فجأة في هذه الفتاة صورة منعكسة لنفسها.. مع أنها أكثر ثقة بنفسها مما كانت رونا عليه.. وبدأت تتحدث إلى إميليا بطريقة ودية. واكتشفت أنها درست في كلية الفنون، وأنها دائماً كانت تهتم بتصميم الملابس، وأنها تنظر إلى العمل كأمر رائع بحد ذاته. وأنها ستفعل أي شيء تقوله لها. وأضافت:

ـ لكنني لا أعرف الخياطة.

راجعتا رسوماتها معاً.. وفكرت رونا: أجل إنها جيدة، ويجب أن أقبل بها. قد تكون غير مستقرة تماماً، وهذا يبقى للمستقبل. وقد تنقلب لأن تكون جيدة جداً.

ـ سأمنحك فترة تجربة..

حين أتمتا كل التفصيلات، سألت إميليا:

ـ هل آتي غداً؟

ـ أجل.. أيناسبك هذا؟ بإمكانك قضاء أسبوعين في المشغل لتري كل شيء يصنع هناك. سيكون لك طاولة مع المصممات الأخريات عندي في المرسم.. وسيكون المشغل مقرك الرئيسي.. وأي شيء ترسمينه خلال هذا الوقت ستجيئين به إليّ، وسأدرسه.

خرجت إميليا مبتهجة بنجاحها، وراقبتها رونا وهي ذاهبة.. كان لها عينان رماديتان برّاقتان، وابتسامة جاهزة، أسلوب في المشي يظهر أنها قادرة على ارتداء الملابس بأناقة بقدر أناقة تصميمها، ولها قصة شعر صبيانية تعطيها جو أناقة، وإرادة ظاهرة في العمل.

في الأسابيع التي تلت، الأسابيع التي أوصلت أشهر الشتاء إلى أوائل الربيع، راقبت رونا تقدم إميليا بحذر، وما رأته أسعدها.. كان صحيحاً أنها مستعدة لعمل أي شيء، وكانت تتعلم بدقة وسرعة. كانت تعمل مع الفتاة التي تحضر الشرائط الحريرية، تتعلم كيف تلف الثياب في قسم التوضيب، تستقبل الزبائن وتسليهم، تقدم إليهم القهوة وتحادثهم إذا كن مضطرات للانتظار، وتصمم الفساتين والقبعات، وكانت تبدي الود والصداقة مع الجميع، من أصغر فتاة في المشغل، التي تلتقط الدبابيس، حتى رونا نفسها.

كانت تجلس مع مايكل، في دفء غرفة جلوسها، في إحدى الأمسيات، والأريكة مقربة من الموقد كما يحبان أن تكون، وصينية القهوة التي لا بد منها على الطاولة الصغيرة.. قالت:

ـ هذه الفتاة الجديدة عندي، تبدو لي فعلاً هبة من السماء.. وأرجو أن تستمر هكذا.. تبدو لي جيدة جداً.

ـ استخدمت فتيات صغيرات من قبل، فما المميز في هذه الفتاة؟

ـ إنها تفعل القليل من كل شيء.. وتذكرني بنفسي وأنا صغيرة.

ـ هذا ما يجعلها بالفعل مميزة، يا سيدتي العجوز.

وضحكا معاً. ثم قالت:

ـ لا أظنني كنت صغيرة مثلها تماماً.. وقد تضحك مني يا مايكل.. أنا في السابعة والعشرين وأتجه إلى الثامنة والعشرين.. وهذه فكرة مخيفة.

ـ أجل.. لقد آن لك أن تتزوجي.

ـ أحياناً، هذا ما أفكر به.

استدار إليها بسرعة، وعيناه مليئتان بالأمل:

ـ أتقولين لي «نعم» أخيراً؟

ـ أوه.. لا.. على الأقل ليس نهائياً يا مايكل.. ما أعنيه حقاً، أنني أفكر أحياناً بأن الوقت قد حان لزواجي.. لكنني أسأل نفسي، لماذا القلق ولدي الكثير يشغلني.. الحقيقة أنني أريد فعلاً أن أتزوج، ولا أظن أنني يجب أن أبقى مكتفية بنفسي.

ـ حين تفكرين بالزواج.. أتفكرين بي؟

ـ أنت، حبيبي، الشخص الوحيد الراغب في الزواج مني.

ـ وأريد هذا أكثر من أي شيء في العالم.. فهل نفعل يا رونا؟

ابتسمت له بلطف.

ـ هناك الكثير من الأمور التي تمنعني من الزواج يا مايكل.

ـ لا شيء يمكنني رؤيته.

ـ أكبر عقبة، أنني لا أحبك.. مع أنك تزداد قرباً مني مع الأيام.

ـ وسأبقى هكذا كما أرجو.

ـ أحب الأمسيات التي تأتي فيها لتراني.. مرّ وقت، حين كنت أعيش

مع ديانا لوحدنا، لم أكن أعرف فيه معنى الوحدة.. كنت دائماً مشغولة، مستغرقة، راضية عن نفسي.. أحياناً أحس أن الأمر مستمر هكذا. أصل البيت، آكل الطعام في المطعم، ثم أقضي المساء كله أعمل.. سعيدة تماماً، أذهل حين أدرك كم مضى من الوقت وأنا مستغرقة في عملي.. لكنني أحياناً أحس بالوحدة ولا أريد أن أعمل، أو أخرج، أو أي شيء، ثم أتمنى لو تكون معي.. فوجودك معي يسوي لي كل الأمور، ويجعلها سهلة.

ـ عظيم.. لكنك تغيرين الموضوع.. نحن نتفق جيداً في كل شيء.. وأعرف أنني أعجبك، وأنك متعلقة بي، وأنا أحبك. والجانب الجدي من الزواج لن يكون عائقاً. فنحن منجذبان لبعضنا.. وأرى أن كل شيء مع الزواج وليس ضده.

ـ ألا ترى أن عملي ضده؟

ـ أبداً.

ـ لكنه لن يسهل الأمور لنا، وتعرف أنني لا أريد التخلي عنه؟

ـ أجل.. وأفهم هذا.

ـ إذن تصور ما قد يعني.. سأكون هناك في المدينة طوال الأسبوع، وأنت في الريف في مزرعتك.. سيكون لك زوجة لنهاية الأسبوع فقط.

ـ ألا يمكنك الانتقال يومياً؟

هزت رأسها مفكرة قبل أن ترد:

ـ لا.. لا يا مايكل.. لا أظن هذا. أمر واحد يمنع: أوقاتي ليست منتظمة، وأكره أن أتوقف عن إكمال شيء لألحق بالقطار.. وأمر آخر، إنني أؤمن أن هذه الطريقة تقضي على الإلهام.. أحب الريف، لكن لندن هي إلهامي.. لندن والمدن الكبيرة الأخرى.. التنقل في قطار سيحطمني، يغلق تفكيري، أحتاج لأن أرى ما يحدث في لندن ليلاً لأجل عملي.

فهم مايكل الوضع فوراً:

ـ إذن.. لا بأس.. سأقبل بزوجة لنهاية الأسبوع فقط.

ـ لن يكون هذا زواجاً أبداً.. مايكل، حبيبي، أفضل شيء لك أن تنسى كل شيء عني، وتجد لك زوجة تحب العيش في الريف.. تكون معك طوال الوقت، تعتني بك، وتعطيك زواجاً ملائماً.

قال بنفاذ صبر:

ـ أنت مصممة على التشاؤم!

ـ لا.. بل متلهفة كي لا تقع في الغلط، ولأجلك أنت..

بدا عليها القلق الشديد، فاحتواها بين ذراعيه لبواسيها، ولفترة طويلة ضاع الكلام بينهما.. أخيراً قال لها:

ـ أترين، كيف نتناسب معاً، كيف نتلاءم معاً.

تنهدت: أجل.

ـ إذن قولي إنك ستتزوجينني.

صمتت، فتابع توسله:

ـ قولي يا رونا.

أبعدت نفسها من أحضانه، وجلست مستوية تنظر إليه.

ـ مايكل.. حبيبي.. لو أنني أحبك لقلت نعم دون تردد، ثم أقوم بكل ما في وسعي لأنجح هذا الزواج.. لكن شيئاً ما يكبحني.

ـ لا تدعيه يكبحك. ما إن تحطمي ذلك السد، حتى ترين أن كل شيء سينجح.

ـ لا أستطيع فعل هذا.

ـ لا بأس إذن.. لا تقلقي.. عودي الآن إلى ذراعي.. واسترخي..

بعد هذا، استمرا في الشعور بالأمان لوجودهما معاً. كانت رونا ترى أصدقاءها خلال الأسبوع، تتعشى في الخارج وتذهب إلى المسرح، وتعمل جاهدة، لكنها في نهاية الأسبوع، كانت تذهب إلى الريف، ودائماً تتناول العشاء في مزرعة مايكل. حيث كانا يمضيان يوم الأحد معاً، يذهبان أحياناً إلى مزرعة ديانا لزيارتها، لكن يستبقيان اليوم كله لنفسيهما دائماً.

بدأت رونا تظن أن الزواج من مايكل قد يشكل نجاحاً كبيراً، كان يمكن أن تتردد لو أن رجلاً آخر سواه، كان لمايكل موهبة تحمل وصبر كبيرين قد يؤديان إلى النجاح.. أكثر من مرة وهما يسيران حول المنزل الريفي الساحر، وجدت نفسها تفكر: «متى» ستتزوج سأفعل كذا وكذا، بدلاً من أن تفكر «إذا» تزوجنا سأفعل هذا الأمر أو ذاك..

كان ابتهاجها يزداد لرؤية إميليا تفي بما وعدت به في أسابيعها الأولى.. تعلمت بسرعة، ولم تخف يوماً أن تسأل عن أي شيء لا تفهمه، وكان تقدماً سريعاً في كافة أمور العمل، وكانت محبة بالنسبة للزبائن، كما للعاملين..

كان واضحاً، أن لديها إعجاباً كبيراً برونا، لاحظه الجميع منذ البداية.. وقالت لها يوماً وهما تتناولان الغداء معاً، بقليل من الخجل:

ـ شخصيتك أفضل دعاية لك.. أنت دائماً أنيقة، أرجوك أن تقولي لي إذا رأيت يوماً أي خلل في مظهري.

ـ سأفعل.. ألم ترغبي يوماً في شيء سوى التصميم؟

ـ بلى.. فكرت في بداية مراهقتي بالرسم، وسرعان ما تغلبت على هذا. ثم عرفت أنني يجب أن أصمم الأشياء، وسرعان ما توجهت إلى الملابس.

ـ ألا تطمحين لإدارة عمل خاص بك؟

ـ لا.. لا أظن هذا، طالما أنا مكتفية بالعمل في التصميم، فهذا كل ما يهمني، أستطيع أن أرى وأعمل دون حاجة لإقلاق نفسي.. وطالما عملت معك سأبقى سعيدة.

وهذا ما أسعد رونا.. فهي لا تريد أن تدرب إميليا بالكامل، لتأخذ كل ما تعلمته واختبرته إلى مكان آخر..

كانتا في مكتب رونا ذات مساء وقد خرجت كل العاملات. وقدمت إميليا بعض التصاميم إلى رونا، التي أخذت تقلبها متفحصة، تقترح شيئاً هنا، تنتقد هناك، تسألها لماذا استخدمت هذا المزيج من الألوان، أو ذلك

النوع من الأقمشة.. لكنها سرعان ما لمحت الساعة الصغيرة على طاولتها.

- يا للسماء! لم يكن لدي فكرة أننا تأخرنا هكذا. يجب أن تذهبي إلى بيتك يا إميليا.

- لا يهم أبداً.. بيتي ليس بالبعيد. تابعي آنسة وايل، إذا كان لديك الوقت.

حين انتهت رونا من التصاميم وأعادتها لإميليا قالت إميليا:

- بإمكاني تعلم الكثير بالإصغاء إليك فقط. سمعت أنك شخصية رائعة قبل أن أعمل لديك. ولهذا أزعجتك بالرسائل والاتصالات.. لكنني لم أتوقع أن أجدك متساهلة ومساعدة هكذا.

- ومن كان يعطيك المعلومات عني؟

كانت تبتسم وهي تسأل، متصورة أحد أصدقائها.

- إنه السيد مادسون.. تصورته صديق قديم لك، لكن ربما كنت مخطئة.

جمدت رونا دون حراك. وتلاشت الابتسامة عن وجهها، حدقت بإميليا وكأنها لم تسمعها جيداً:

- سيد مادسون؟

- أجل.. مايلز مادسون.. تعرفينه، أليس كذلك؟

لاحظت رونا دهشة إميليا، وتمسكت بهدوء أعصابها لتقول ببرود:

- أجل.. أعرفه.. لكنني بكل تأكيد لم أربطك به.

- إنه صديق لوالدي. إنهما مشاركان في جمعيات مختلفة معاً.

- وأرسلك السيد مادسون إليّ؟

- لم يرسلني بالضبط.. في الواقع.. إنه زائر دائم لمنزلنا، يأتي للعشاء عندنا وأحياناً للغداء، ولطالما أحببته طبعاً.. لكنه بداية لم يلاحظني حتى.. إلا أنه أظهر مؤخراً المزيد من الاهتمام، ربما لأنني كبرت، بعدها أدرك أنني فعلاً مصممة جيدة.. فأخبرني عنك.

ابتسمت رونا باهتمام وفضول:

- وماذا قال لك عني؟

ابتسمت إميليا بدورها:

- كل شيء رائع.. بل في الواقع كل ما هو إطراء، حتى أنني أحسست بالغيرة. مما جعلني مهتمة بك بجنون.. فأخذت أحصل على كل المعلومات منه ومن مصادر أخرى.. غريب أن مايلز لم يذكرك يوماً من قبل، ولم تكن لدي فكرة أنه يعرفك.. لكنه أساساً لا يتكلم كثيراً عن حياته الخاصة..

- لا.. هذا صحيح.

تذكرت أنه لا يتكلم كثيراً عن نفسه، وأنه حين يفعل يكون هذا حول ما يفكر به أكثر مما حول ما يفعل. وأحست بغيرة حارقة لا تحتمل تنطلق في داخلها.. مؤلمة إلى درجة أنها انكمشت من تأثيرها وسألتها إميليا باهتمام:

- هل حصل لك شيء آنسة وايل؟

حاولت الابتسام:

- لا.. لا.. أنا بخير.. ماذا كنت تقولين؟

- كنت أقول إن من الغريب أن مايلز لم يذكرك.. ويبدو أن تصميمي على أن أكون مصممة هو الذي ذكره بك.. وأخذ يتكلم عنك كثيراً.. قال.. أوه.. لا ربما لا تحبين سماع هذا.

- ماذا قال؟

- أرجو أن لا تنزعجي، قال إنني أشبهك.. هذا أمر سخيف بالطبع، لأنك جميلة أما أنا فلا.. أنت هادئة أنيقة مسيطرة على نفسك، وأنا طائشة، كما يقال لي..

- أعتقد أنه يقصد حماستنا المشتركة.

فكرت إميليا بهذا بارتياب، وكأنها فعلاً تمتلك حماساً مشتعلاً، لكنها لا تستطيع ملاحظة هذا في رونا، وعرفت رونا بماذا تفكر.

فابتسمت:

ـ قد لا تصدقين هذا، لكن حين عرفت السيد مادسون في البداية، كنت كتلة من الحماس المتوقد.. حتى أن الرجل المسكين أحس بالسأم من كلامي.

ـ أوه.. لكن مايلز لا يسأم أبداً.. نجده مرحاً ومسلياً، ومثيراً للاهتمام.. في الواقع..

ـ نعم..؟

ـ لا.. لا يهم!

تركت رونا الأمر هكذا.. وظنت نفسها تعرف ما كانت إميليا ستقول، واضح أنها مجنونة بحب مايلز.

ـ الآن يجب أن تذهبي إلى البيت فعلاً، فقد يتساءل والداك عما حدث لك. وإذا لم تكوني جائعة فأنا جائعة بالفعل.. هيا، اركضي يا إميليا.

ـ أجل.. طبعاً.. شكراً لإعطائي هذا الوقت لأمور خاصة بي.. تصبحين على خير آنسة وايل.

ـ تُصبحين على خير.

راقبت خروج إميليا ساهمة، ثم جلست لوحدها هادئة ساكتة.. وسمحت لقناع الرقة والتحمّل أن يتساقط عنها، سمحت للعذاب الذي كانت تكنه أن يتفاعل داخلها.. أحست بثقل ارتمي عليها، بألم مرير في قلبها.. وتنهدت طويلاً.. لكن دون ارتياح.. إنها تغار، بألم وبؤس.. تغار.

ماذا قالت إميليا «طالما أحببته ومؤخراً أخذ يهتم بي لأنني كبرت» «قال إنني أشبهك».

أجل، تستطيع أن ترى في أية أوجه تشبهها إميليا كما كانت يوم التقت بمايلز.. فكلتاهما صغيرة مليئة بالأحلام والخطط والطموح. كلتاهما تشتعلان حماسة، كلتاهما في وضع يمكنه أن يساعدهما فيه. ومؤخراً أظهر اهتماماً متزايداً بإميليا.. ومؤخراً في الواقع لم يكن يشاهد رونا.

صحيح أن إميليا تسكن مع أبويها وليس من السهل عليه أن يزورها في منزلها الخاص.. لكنه يمتلك شقته الخاصة، تلك الشقة المريحة الجميلة الأثاث، التي تعرفها جيداً.. حيث يمكنه استقبالها.. فهل كان له ولها عشاء حميم معاً هناك، كما كان له ولرونا من قبل؟ هل يختار لها الموسيقى التي تفرض عليها المزاج الذي يريده؟ هل يجد في إميليا فتاة لا تمانع في أن يغازلها؟ من ليس لها مبادىء رونا المتزمتة؟ من تعطيه بكل سرور ما منعته عنه؟

بعد وقت طويل، وقفت من وراء طاولتها.. وجمعت أشياءها لتعود إلى المنزل.. نظرت في المرآة لتضع قبعتها، لكنها لم ترَ نفسها جيداً.. فالتفتت تقفل المكتب وتخرج إلى الشارع.

أخيراً سألت نفسها وهي تذرع غرفة جلوسها: «وماذا يهمك في كل هذا ألم تنتهي ما مايلز؟ ماذا يهمك ما يفعله؟» غيرت ملابسها الرسمية لترتدي جلباباً من المخمل الكرزي اللون. ودخلت المطبخ تحضر القهوة. حين جهزت، حملتها إلى طاولة العمل، وبدأت تدرس الرسومات.. كانت مشغولة في تصميم مجموعة ثياب لمسرحية جديدة.. لكنها لم تعد تثير اهتمامها الآن.. ولم تكن تفكر فيها مع أنها تنظر إليها.. «ألم تقرري أن تربطي مصيرك بمصير مايكل بعد؟ تعرفين جيداً أن حياتك وحياة مايلز معاً أمر مستحيل.. فلماذا أنت مكتئبة هكذا؟»

مع ذلك، بقيت مكتئبة.. لم تكن قادرة على تحمل التفكير بأن مايلز يقيم علاقة حب مع إميليا. كانت تأمل بأنها قد بدأت تنساه.. لكنها الآن تعلم أن حبها له.. قوي كما كان دائماً، داخل قلبها.

* * *

رفعت رونا سماعة الهاتف فأخبرتها موظفة الاستعلامات أن السيدة سيرنغ تطلبها، فقالت:

ـ صليها بي.

سرعان ما فوجئت بصوت مرتفع متسلط:

ـ آنسة وايل؟ عزيزتي أيتها الآنسة وايل . لقد وصلت الفساتين ، وسحرنا جميعاً بها ، وأصرت ابنتاي التوأم أن أتصل بك فوراً لأقول لك هذا .

ـ أنا مسرورة جداً أنها أعجبتكم .

ـ أعجبتنا؟ لو أنك رأيت بهجة التوأم ، لأدركت كم أن كلمة الإعجاب تفيكِ حقك . . بالطبع جربتا الفساتين على الفور . . وأنا مسرورة جداً لقبولك دعوتنا .

ـ لطف منكم أن تدعوني .

حين علقت رونا السماعة ، جلست لحظات ضائعة في أفكارها . فمع أنها كانت تتلقى دعوة وراء دعوة مع مرور الأيام ، إلا أنها لم تكن تنوي حين تلقتها بداية ، أن تحضرها . لكن السيدة رستون هي التي دفعتها إلى القبول . .

صممت لنفسها فستاناً أبيض ، بسيطاً ، وقررت ألاّ ترتدي أية حليّ ما عدا سوار ذهبي عريض .

قالت لها إميليا لرؤيته :

ـ إنه رائع . . أنيق جداً! أظن أن الجميع سيشعر أنه يبالغ في ملابسه .

عندما وصلت الى منزل آل سيرنغ في الريف كان المكان كله مرتباً محضراً بكل مبالغة ، وبدا لرونا أن العالم كله مع زوجاته موجود هناك . . اهتمت جداً بالمنظر الملوّن حولها ، وبفساتين النساء . كانت تقف للحظات وحدها حين شاهدت انعكاساً لصورتها . . لم تكن تدرك أن هناك مرآة بين عمودين طويلين ، وللحظات أخرى لم تدرك كذلك أنها ترى نفسها ، وكأنها غريبة ، وما رأته أدهشها . . فقد بدت منعزلة ، لا يمكن التقرب منها ، حتى أنها صدمت . ووبخت نفسها : رونا . . وكشرت في وجه الصورة غير الودودة الواقفة أمامها . . أهكذا حقاً يراها الناس؟ ابتسمت قليلاً ، فلاحظت التحسن الفوري .

قال صوت خلفها :

ـ هكذا أفضل .

التفت لتجد رجلاً ضخماً واقفاً يرقبها ، له شعر رمادي حاجبان كثيفان ، تحتهما عينان رماديتان حادتان . . وأكمل :

ـ لماذا تكشرين في صورتك؟

ـ لأنني لم أعجب بنفسي كثيراً . لكنني أؤكد لك أنني لست مجنونة .

وابتسمت . . فسألها :

ـ أتساءل لماذا لم تعجبك نفسك؟ كنت أظن أن فتاة شابة مثلك ، تبدو مثل ما تبدين ، لا بد وأن تكون معجبة جداً بنفسها .

هزت رأسها دون أن تشرح له شيئاً ، فأردف :

ـ دعيني أقدم لك نفسي : أنا كيرك هوم . . وأنت؟

ـ أنا رونا وايل . . واسمك يبدو لي مألوفاً . . ولا بد أن أكون أعرفك .

ـ لا . . فلا سبب يدعو فتاة جميلة شابة مثلك لأن تسمع بي . . فأنا لست ناجحاً أبداً في مثل هذه الحفلات الراقصة . . أتخاطرين بالرقص معي؟

رقصت رونا معه ، ثم سمحت له بأن يأتيها بكأس عصير ، وجلسا معاً فوق أريكة يتحدثان ويتفرجان على الراقصين . . وسألها :

ـ ألا تبدو لك هذه حفلة كثيرة الضوضاء لمجرد تقديم فتاتين إلى المجتمع؟

ـ أنا واحدة من اللواتي يستفدن من هذه المناسبة . . فأنا من صمم وصنع الملابس للتوأم وللأم . . وأرى بعضاً من تصميماتي هنا كذلك .

ـ والذي ترتدينه؟

ـ أجل .

ـ هل أنت خياطة؟

ـ أجل . . هذا وصف رتيب لعملي . . فأنا مصممة أزياء ، وأدير مؤسسة للأزياء .

ـ أستأهل التوبيخ . . لا بد أن يكون اسمك مألوفاً لدي .

ردت بوحي من كلماته السابقة :

ـ لا سبب يدعو سيداً مهذباً معروفاً لأن يسمع بي .

ضحك . . ضحكة لطيفة رنانة ، من النوع الذي يجبر الناس على الابتسام تعاطفاً :

ـ إذن ، لا بد أنني في صحبة شابة ذكية ، حادة الذهن وخلاقة . . حين

رأيتك واقفة في ثوبك الأبيض، طُنتك واحدةً من المجتمع الذي لا فائدة منه.. أما الآن فأرى أن الكثير يجب أن يضاف إلى وصفك بالجمال.. والسحر.

ضحكت رونا:

ـ حين كلمتني، كنت أفكر كم أنا باردة وعدائية، لا يمكن التقرب مني.. لكنني لست هكذا في الواقع.

ـ أستطيع رؤية هذا، فإما أنا، أو دفء المكان أخرجا الدفء فيك.. أنت الآن أكثر جمالاً. ويجب أن تبتسمي كثيراً.. فهذا يعجبني.

ـ أظن دفء المكان قد أخرج شيئاً فيك أنت.. فقد امتلأت غزلاً.

ـ أنا لا أغازل أبداً.. أنا لا ألاحظ الشابات، لكنني لاحظتك.. وأرى أنك لست متزوجة.

ـ لا..

ـ ولا أنا.. وافترض أننا كنا مستغرقين في العمل.

ـ ربما..

ـ وكيف تعتقدين أن الزواج سيجري بين بروفسور عجوز، وصانعة ملابس شابة.. أنا آسف، لا أعرف كلمة أفضل لوصف عملك..

ابتسمت، لقد جذبها هذا الرجل على الفور.

ـ أنت محبوب إلى درجة أنني أستطيع بسهولة تصور أنّ مثل هذا الزواج ناجح جداً.. لكنني أظنك تبالغ في تخيلاتك.

ـ أجل.. ربما عليّ أن أوازن أفكاري ببعض الطعام. فهل نهاجم «البوفيه» بالقوة؟

توجها إلى غرفة الطعام. حيث وجدا مائدتين طويلتين مليئتين بكل أنواع الطعام، وبكثير من المبالغة في الإسراف..

وهما يخرجان اقترب منهما خادم آخر يحمل صينية أكواب عصير وشراب متنوع. فقال كيرك:

ـ لنأخذ المزيد من العصير يا رونا وايل.

استدارت رونا لتأخذ كوب عصير، لكنها فوجئت أن خلف كيرك هوم،

وإلى جانب الخادم، كان يقف مايلز، الذي ابتسم يقول:

ـ مرحباً رونا؟

بدا عليها للحظات وكأنها رأت شبحاً:

ـ مايلز؟

تمتم الخادم:

ـ ألا تريدين العصير؟

قال مايلز:

ـ بلى.. سنأخذ العصير، أريد كوبين من فضلك..

ومد كوباً إلى رونا.. فقالت:

ـ يداي مشغولتان.

ـ دعينا نذهب إلى هناك إذن.

قادها إلى طاولة صغيرة، فوضعا عليها الطعام لكنهما بقيا واقفين.. حاولت رونا أن تستعيد توازنها:

ـ أتعرف السيد هوم؟

ـ أجل.. أنا وكيرك صديقان قديمان.

وتصافح الرجلان:

ـ لم أشاهدك منذ كنا في جنيف يا كيرك.. أنت لم تنسف العالم بعد.

ـ ولا أنوي أن أنسفه.

قالت رونا لكيرك:

ـ بدأت أعرفك.. أنت مهم جداً.. علومٌ، ذرة، ومثل هذه الأشياء.

ضحك الرجلان لها. لكنهما لم يظهرا أي تأثر بجهلها.. وتفحصها مايلز جيداً، فأحست باللون يتسلل إلى وجهها تحت نظرته.. ورآها متألقة مشرقة، ربما بسبب غزل كيرك لها.. لكن الفتاة المتباعدة الباردة اختفت، وحلت مكانها فتاة مغرية دافئة، مبتسمة وجذابة.

أخذ الرجلان يتبادلان الحديث.. وقررت رونا، وقد عادت نبضاتها إلى طبيعتها وكذلك أنفاسها أن الابتعاد أفضل لها، وأن عليها تركهما يتحدثان، لكن مايلز لاحظ ما تنوي فعله.. وهي تضع طبقها وكوب العصير

على الطاولة، أطبقت يده بحزم على معصمها.

ـ لا تذهبي رونا.. أريد التحدث إليك.

ـ لكنكما ستتمكنان من الكلام بشكل أفضل من دون وجودي.

ـ بالعكس.. ستتكلم أفضل بوجودك معنا. ستكون إلهامنا يا كيرك.

رد العجوز.

ـ لقد سَمَتْ بي إلى ارتفاعات جديدة هذا المساء.

قالت رونا:

ـ إنها ارتفاعات جديدة غبية.

ـ ماذا؟ أتصفين طلباً للزواج بالغباء؟

ردت:

ـ لم يكن طلباً للزواج.. ولو كان هكذا، فأنا أعتبره طلباً غامضاً..

مرده إلى سحر الليل.

ـ الشيء الوحيد الذي فضله لسحر الليل، هو الشجاعة التي استجمعتها.

قاطعهما مايلز:

ـ ما كل هذا؟

ردت رونا:

ـ السيد هوم يمزح.

قال مايلز:

ـ احتكرت «أسد» الأمسية، ثم تسخرين منه؟ إلا أنني لا أستطيع الموافقة على مثل هذا الزواج على أي حال.

نقل كيرك نظره من مايلز إليها تكراراً.. وأدرك على الفور أن هناك نوعاً من التوتر بينهما.. فقال لرونا:

ـ لا تقولي لي إنك عازمة على جعل مايلز رجلاً شريفاً أخيراً؟

ـ مايلز! أيمكن أبداً جعله رجلاً شريفاً؟

لاحظ الرجلان الحدة في صوتها، لكن كيرك اختار أن يأخذ كلامها بخفة.

ـ لا.. على الأرجح لا. إنه أعزب متأصل.

رد مايلز:

ـ متأصل بقدر ما أنت متأصل يا كيرك.. لكنك تتحدث عن الزواج أحياناً، أما أنا.. فلا.

حاولت رونا تخليص معصمها من قبضته، فنظر إليها نظرة طويلة غامضة لم تستطع فهمها، ثم قال لكيرك:

ـ أتمانع إن أخذت رونا منك للرقص؟

ـ أبداً.. حين تضجرين منه يا رونا، عودي إليّ.

هكذا أصبحا فوق حلبة الرقص، ووجدت نفسها بين ذراعي مايلز مجدداً.. بعد هذا الوقت الطويل الطويل، عادت بين ذراعيه.. وعاد كل الحب والاشتياق.. لكنها أحست بتلطيف لكل الشوق في قوة ذراعيه، وراحة اضطرتها للاعتراف بالحب في نفسها.. وفكرت: لهذه المرة فقط.. يجب أن يكون لدي شيء أعيش عليه.. شيء يقيني من الموت جوعاً..

حين انتهت الموسيقى قال لها مايلز:

ـ تعالي لتتكلم يا رونا.. أريد أن أعرف كيف تسير الأمور.

لم تبدِ مقاومة، فقادها إلى خارج الغرفة، عبر الردهة، ثم إلى غرفة فارغة أصغر حجماً. سألته:

ـ إلى أين سنذهب؟

ـ لن يزعجنا أحدٌ هنا.. فلن يدخل علينا مخلوق.

ـ تعرف المنزل جيداً؟

ـ السيدة سيرنغ ابنة عم بعيدة لي.

ـ أوه.. ! إذن أنت لم تندهش لرؤيتي هنا؟

ـ لا.

ـ مخادع.

هز كتفيه، فاستدارت نحو الباب، وقبل أن يتمكن من إيقافها أصبحت مرة أخرى في الردهة.. فلحق بها.

ـ رونا.. لا تكوني سخيفة.

لكنها تابعت طريقها، وسرعان ما أصبح إلى جانبها. وضع يده في

ذراعها يجذبها بحزم إلى الحديقة.. قاومته، لكن دون جدوى. قال ممازحاً:

ـ اصرخي طلباً للنجدة.

لكنها لم تفعل، ووجدت نفسها في الحديقة معه، حيث كان أناس آخرون يسيرون في ممراتها المضاءة بأنوار خافتة خيالية. سار بها مايلز إلى مكان ظليل بين الأشجار، غير مضاء، شديد الظلمة وبعيد عن الأضواء المنتشرة.

كان غضب رونا لعلمها أنه دبّر هذا اللقاء سلفاً، قد أخذ يتلاشى.. فهي تعلم أن هذا الغضب لا حظ له أمام رغبتها في أن تكون معه، حين احتواها بين ذراعيه بلطف غير متوقع، كانت منزوعة السلاح تماماً.. وهمست:

ـ أوه.. مايلز.

وسلمت نفسها إلى أمانٍ هادىءٍ غير متوقع، أمان محى كل قلقها، كل استيائها. تنهدت عميقاً تنهيدة حملت معها آخر معاقل مقاومتها، وتابعت شاعرة بالدفء والحب الذي له وحده القوة في أن يعيدها إلى الحياة.

أخيراً رد عليها:

ـ رونا.. مضى زمن طويل.

ـ سنوات وسنوات.

ـ هل اشتقت إليّ؟

ـ وأنت.. ربما اشتقت إليّ يا مايلز؟

ـ طبعاً.. وطوال الوقت.

أخذا يتمشيان معاً بين الشجيرات، وذراعه حولها، إلى أن وصلا إلى نهاية الممر حيث تنتهي الأشجار إلى حقل كان يوماً ميداناً للصيد، فيه مقعد من السنديان، جلسا عليه، ثم ارتمت رونا على الفور بين ذراعي مايلز.. لمرة واحدة.. مجرد هذه المرة.. أقنعت نفسها.. لمجرد الإحساس بالتحرر من الحسد والإحباط.. مرة واحدة لترضي فيها شوقها.. كي تحس بالهدوء في نفسها وهي تنعم بدفء حبه.. هكذا جلسا معاً، راضيين ببعضهما، غافلين عما يجري في الحفلة.

أخيراً قالت رونا:

ـ يجب أن نعود.. ربما ستنتهي الحفلة قريباً..

ـ هل ستبقين هنا؟

ـ أجل.. مع أنني أفضل العودة، فالكثير من وقت الصباح سيضيع قبل أن أتمكن من العودة..

ـ لماذا لا تشترين سيارة؟

ـ لا أحب قيادتها. في المدينة استخدم التاكسي دائماً.

ـ فكرت بإهدائك سيارة جميلة ذات مرة، أكنت ستقودينها؟

ـ وكيف أعرف..؟ ما كنت لأقبلها.

ـ كنت ستقبلينها، لو أنك تبعت خططي لك. أردت إهداءها لك، ومعطف فرو، والماس.. وأي شيء ترغبينه.

ـ لكن اختيارك لم يكن موفقاً.

ـ أجل.

فكر: أجل.. أعرف هذا الآن.. فكر في البداية أن الصراع لن يكون صعباً. حين أدرك كم سيكون صعباً، كان قد أدرك كذلك أن النصر فيه سيعني الكثير الكثير له.. ويعرف الآن أنه لم يكن سيكسب ذلك النصر المحدد.. فلرونا القوة التي لم يقدّرها حق قدرها.. حتى الآن، وهي بين ذراعيه، ودفء عناقها لا يزال يبهجه، يعرف تماماً أن قوتها موجودة. ولم يعد يخدع نفسه بأن هذا الاسترخاء، وهذه الليونة.. قد يستمران إلى الغد.. ففي الغد ستستعيد وعيها، وتعود إلى قراراتها السابقة. هكذا بقي صامتاً مفكراً لوقت طويل إلى أن اضطرت رونا إلى تذكيره بوجوب عودتهما إلى الحفلة. فنظر إلى ساعته:

ـ أمامنا وقت كافٍ.. ولا بد أنها ستستمر لساعات بعد.

ـ لديّ مواعيد في الغد. وأود النوم قليلاً..

ـ أخبريني عن كل ما كان يحدث لك.

ـ تعرف أمور العمل.. فأنا أبقيك على علم تام بها.

ـ أجل، وأنا سعيد لتقدمك.

ـ عظيم.
ـ لكن ماذا عن حياتك الخاصة؟ ماذا يحدث هنا؟
ـ ما يحدث عادة. وهو ليس بالكثير.. أعمل معظم الوقت.
ـ وماذا عن «أدونيس» المزارع؟
ـ ما يزال مزارعاً، وما يزال «أدونيس»!
ـ وما يزال مفضلاً؟
ـ جداً.
ـ ماذا يعني هذا الكلام؟
ـ ما يعنيه بالضبط: إنه المفضل لدي.
ـ هل ستتزوجينه؟
ـ أظن هذا.
ساد صمت طويل.. ومعقد.. أخيراً سألها:
ـ أتشعرين بنفس الشيء تجاهي؟
ـ أجل.. أحس بنفس الشيء تجاهك.
ـ أي أنك ستتزوجينه من غير حب.
ـ لا.. ليس من دون حب.
ـ دون «هذا» النوع من الحب! أيستأهل؟
ردت بحزم:
ـ أجل.
ـ ومتى سيكون هذا الزواج؟
ـ لست أدري، لم نقرر. متى أردت أنا.
ـ هكذا إذن.. وكيف سيتناسب هذا الزواج مع عملك؟
ـ سيتناسب.
ـ كل شيء مقرر إذن؟ وستتابعين عملك؟
ـ هذا صحيح.. ولا أظننا سنحتاج إلى نصحك يا مايلز، حول زواجنا.. ولا أظن أنك بالنسبة لهذا الموضوع مؤهل لإسداء النصح.
ـ هل سيجري قبل الصيف؟

ـ لا أظن.. لماذا؟
ـ كنت آمل أن تأتي معي إلى فلورنسا، كما حدث السنة الماضية.. لكن في وقت مبكر، كي لا يكون الطقس حار جداً.. على أي حال، وصل عملك إلى مرحلة لم تعودي مضطرة لأن تكوني موجودة طوال الوقت.
ـ صحيح، وعندي إميليا، التي تساعدني كثيراً..
ـ آه؟
ـ إميليا.. أنت أرسلتها إليّ.
ـ إميليا.. أنا لم أرسلها لك.
ـ لكنك أخبرتها عني.
ـ أجل.. ظننتها قد تساعدك. ألم أكن محقاً؟
ـ تعرفها جيداً.
ـ أجل.. بالفعل.
كان يقصد إزعاجها، لكنه لم يعرف كم آلمها، وكم كانت غيرتها حادة لا تحتمل.
وقفت رونا، مصممة على العودة إلى الاحتفال، فسارا مجدداً عبر الأشجار، ثم دخلا الغرفة حيث كان الرقص مستمراً دون ظهور أي دليل على بدء نهاية له.. وقابلتهما السيدة سيرنغ:
ـ مايلز.. كنت أتساءل أين أنت. احتجت إليك منذ قليل، لكنني لا أذكر الآن لماذا.. آنسة وايل، أتتمتعين بالسهرة؟
ـ كثيراً.. شكراً لك.
ـ عظيم عظيم!
وكادت تنصرف، إلا أن مايلز أوقفها:
ـ باميلا.. الآنسة وايل تريد العودة إلى لندن هذه الليلة، فلديها مواعيد مبكرة في الصباح.. وبما أنني عائد إلى هناك، سآخذها معي.
أوشكت رونا على الاحتجاج، لكن السيدة سيرنغ قالت فوراً:
ـ أوه.. أواثقة أنك مضطرة للذهاب يا عزيزتي؟ حسناً.. هذا يساعدني قليلاً، فهناك ثلاثة أشخاص سيبقون هنا لم أكن أحسب حسابهم. وبكل

تأكيد ستستفيد من فراغ غرفتك . . لكن هذا فقط ، إذا كنت واثقة أنك مضطرة للرحيل يا عزيزتي .

لم يكن أمامها سوى أن تقول إنها واثقة ، واحسّت بالغضب من مايلز مجدداً ، وقالت له بعد ابتعاد السيدة سيرنغ :

ـ كيف تتجرأ على التدخل في خططي ؟

ـ لكنك قلت إنك تفضلين العودة الليلة . . وظننت نفسي أساعدك . . إذا ذهبت ووضبت حقيبتك ، نستطيع الذهاب متى شئت .

عادا إلى لندن في الليل الصيفي الهادىء ، وكان القمر قد ارتفع كثيراً في السماء ، ويكاد يكتمل ، يرسل نوره الفضي على الأراضي الريفية . . أمام هذا الجمال الهادىء ، أحست بمزاجه المتوتر يخمد . . قال لها :

ـ اقتربي مني .

وفعلت . . فوضع ذراعه حولها ، وقاد سيارته ببطء على الطريق المهجورة . . أخيراً وصلا منزل رونا ، وصعد معها إلى باب شقتها .

قالت رونا :

ـ سيحل الصباح قريباً .

ـ أجل . . لكنك ستنامين جيداً إذا ذهبت فوراً إلى الفراش . .

بقي واقفاً بالباب . . ثم أردف :

ـ ألن تودعيني ؟

ارتمت بين ذراعيه مبتسمة ، فضمها إليه . . واشتدت ذراعاه بقسوة حولها . . فسألته بهمس :

ـ ألن تدخل ؟

ـ لا . . اذهبي إلى النوم . أنت متعبة ، ولديك عمل في الغد .

لم تحاول إقناعه بالدخول ، بعد قليل تركها :

ـ وداعاً يا رونا .

ـ وداعاً يا مايلز .

فتحت بابها ، انتظر حتى دخلت وعاد إلى سيارته . . دخلت غرفة الجلوس حيث أدركت أنها بالفعل متعبة جداً . . لكنها لم تعتقد أنه تركها

تقديراً منه لتعبها . . قال لها وداعاً ، ولم يقل تصبحين على خير . . على الأقل توقف عن التفكير بها ، وما عليها سوى أن تذكر نفسها أن لديه الآن إميليا . . إميليا التي اعترف بمعرفتها جيداً .

لكن ، لماذا أزعج نفسه في تدبير دعوتها إلى الحفلة ؟ بكل تأكيد ليس لمجرد أن يسعد في تحريك مشاعرها نحوه ، ثم الابتعاد عنها ؟ أكان يأمل في صلح معها ، أبطلته بتأكيدها أنها ستتزوج مايكل ؟ لم تكن تعلم أي من هذه الأمور صحيح ، كل ما تعرفه أن الطريقة الوحيدة لوقاية نفسها من تحرشاته ، هي أن تضع نفسها وإلى الأبد ، بعيداً عن مناله . .

* * *

www.liilas.com
doode

٩ - زواج بلا حب

وصلت طريق الأقدام عبر المروج الخضراء إلى جسر ضيق فوق ساقية، ثم تصاعد الطريق إلى ممر حرجي يصل إلى أضخم مرجة لعشب الجرس الأزرق شاهدته رونا في حياتها.

قالت ديانا:

ـ أظن أن علينا التوقف هنا.

كانوا قد وصلوا إلى جذع شجرة «زان» عملاقة اقتلعتها العاصفة من جذورها، ورمتها أرضاً في السنة الفائتة:

ـ أظن هذه ستكون طاولة مناسبة للشاي..

وضع الأولاد على الفور الأغراض التي كانوا يحملونها، وأخذوا يتسابقون فوق المرجة الزرقاء. أخرجت رونا الصغيرة من مقعدها المحمول لتضعها على بساط وحولها بعض الألعاب، وجلست ديانا مع رونا الكبيرة على غصون شجرة الزان، المريحة. قالت ديانا:

ـ لا يريد الأولاد تناول شيء الآن.. قصّي عليّ أخبارك يا رونا.

ـ ليس هناك الكثير.. لا شيء مذهل على أي حال.

ـ كيف حال إميليا في العمل؟

ـ مرضية تماماً.. أجدها مفيدة أكثر كل يوم. إنها بكل تأكيد عاملة مجتهدة.

ـ تبدو أنها تشبهك.. أود أن أقابلها.. ألا يمكن أن تأتي بها إلى هنا في يوم ما؟

ـ بصراحة.. لا.

نظرت ديانا إليها والتساؤل في عينيها، فأردفت:

ـ لا أظنني راغبة في مزج عملي مع حياتي الخاصة.. وقد تدهشك معرفة

أن مايلز أرسلها لي.

ـ مايلز؟ أجل.. هذا ما يدهشني.. وكيف يعرفها؟

ـ على ما يبدو، كان يعرفها منذ زمن طويل.. وأعرف أنها تحبه.. لكن مشاعره غير معروفة.

هزت ديانا رأسها عجباً، ولم تحالفها الكلمات المناسبة، فهي لم تعرف يوماً ما يعنيه مايلز ورونا لبعضهما حقاً. لكنها تعرف أنهما يوماً كانا يتقابلان كثيراً، أما الآن فلا.. تعرف أن رونا مرت بمرحلة تعاسة بالغة، وأنها الآن تبدو وكأنها شفيت من تلك التعاسة.. وقالت:

ـ أعتقد أن هذا لا يؤثر على كونها مفيدة لعملك.

دهشت رونا لتفكيرها أن الفتاة بالفعل تشكل فارقاً كبيراً لها.. تعرف الآن، أنها كلما نظرت إلى إميليا، تفكر بمايلز، وأن التفكير به يؤلمها.. وعليها أن تبعد نفسها عن أي مجال للتفكير المؤلم، وأن تشغل نفسها مع شخص آخر، وفي زواج آمن هادىء. قالت:

ـ آمل، أن تصبح إميليا مفيدة لي أكثر فأكثر.. هدفي، كما تعلمين، أن أتمكن من تركها مسؤولة لفترات وجيزة.. وهذا لم يحن وقته بعد.

أحد الأطفال عاد راكضاً ليعطي الطفلة باقة من الزهر الأزرق.. وبدأت الطفلة على الفور بتمزيقها إرباً.. وراقبتها ديانا كي تتأكد أن أياً من القطع لم يجد طريقه إلى فمها، ثم بدأت تخرج محتويات سلة النزهات.. وقالت رونا:

ـ إنها الجنة هنا.. أرجو أن يكون لدى مايكل بساط أزرق كهذا في مكان ما من مزرعته.. لأتمكن من التمتع به في كل ربيع.

سألتها ديانا:

ـ هل أجد في كلامك شيئاً مميزاً؟

ـ أجل يا ديانا.. قررت أن أتزوجه.

ـ أوه.. رونا.. كم أنا سعيدة! هذا ما كنت أحلم به منذ زمن طويل، وأملت أن تكونا سعيدين مثلي مع ادوارد. متى سيكون هذا؟

ـ لست أدري.. ومايكل نفسه لا يعرف بعد.. في الواقع، لو أنه غيّر

رأيه حولي، سأبدو كالحمقاء.

ـ لكنك تعرفين جيداً أنه لن يغير رأيه.. أوه.. هذه أخبار رائعة. وسنكون جيراناً مقربين. عشرون ميلاً ليست بالشيء الكثير في الريف.. لكنك ستستمرين في العمل.. طبعاً.

ـ أجل.. هكذا ترين أن إميليا حين تنجح في أن تصبح مفيدة لي حقاً، فهذا يعني أنني سأتمكن من البقاء مدة أطول مع مايكل في المزرعة، إضافة إلى نهايات الأسبوع طبعاً..

ـ ستحتفظين بشقتك في لندن؟

ـ أجل.

ـ كم سيكون الأمر رائعاً لك أن تأتي كل نهاية أسبوع إلى مكان جميل كهذا، ولا مجال لأن تضجري من رتابة الحياة في الريف. أوه.. رونا.. أقيمي حفل الزفاف هنا.. سأحب أن أرتبه لك.. وتعرفين أن أمي ستطير فرحاً لمساعدتك.

ضحكت رونا:

ـ الوقت مبكر لهذا.. يجب أن يقبل مايكل بي أولاً.

قفزت نحو رونا الطفلة، التي بدأت تزحف بعيداً للاستكشاف، وأعادتها إلى البساط، ونادت ديانا الأولاد، الذين جاءوا راكضين، يضحكون ويتدافعون ويصلون إلى شجرة الزان، متشوقين للشاي.. وللطريقة الهادئة الكفؤة التي تتعامل فيها ديانا مع الأولاد، شعرت أنهم كعائلة لها مثلما هم عائلة والديهم.. فكل أوقاتهم كانوا يقضونها في المزرعة.. وفكرت رونا بالمستقبل، مقررة أن يكون لها ولدان: بنت تشارك أمها ذوقها.. وصبي يسير على خطى أبيه، مايكل.

عادوا أدراجهم إلى المنزل، كان الأولاد متعبين قليلاً، فوق الجسر الضيق، توقف الصبيان، كما يفعلون دائماً، للتفرج على السمك، ثم ركضوا منه نزولاً إلى المروج الخضراء، حيث شاهدوا ادوارد ومايكل يتسلقان السياج لملاقاتهم.

والتقت المجموعتان. قالت ديانا لأدوارد:

ـ خذ هذه.

وأعطته الحمالة بمن فيها.

سألت ماغي:

ـ هل ستأخذنا إلى البيت في سيارتك يا عمي مايكل؟

ـ أجل.. بعد وقت قصير.

قالت ديانا:

ـ أوه.. ابق لتناول العشاء معنا.

ـ في وقت آخر يا ديانا.. فالآنسة هايز تعد لنا وجبة مميزة.. ولن تسامحنا إذا لم نعد ونتمتع بها.

فكرت رونا: عظيم.. هكذا سيكون لنا أمسية طويلة قرب النار، سنرتب كل شيء، وقبل أن أعود إلى لندن سأكون مخطوبة، وسأكون آمنة.. وإلى الأبد. ولن يعود لمايلز ما يفعله، وما يخططه لحياته الخاصة والعاطفية، أمر لن يظل يعنيني.. وسأركز حقاً على إنجاح زوجي.. سأعطي مايكل كل ما أستطيع وسيحصل من زواجه على كل ما يجب أن يحصل عليه.

ما عدا حبكِ.. ! صوت صغير في مخيلتها همس ساخراً.

لكنه يعرف هذا، ويريدني على أي حال.. وأنا مولعة به حتى أنني متأكدة من إمكانية نجاح زواجنا.

أوصلا الأولاد إلى القرية، وتوقفا على مضض لشرب القهوة مع والديهم قبل المضي إلى المنزل. حين عادا إلى السيارة مجدداً، قال مايكل:

ـ أخيراً.. أصبحنا لوحدنا.

ابتسمت له ودست يدها تحت ذراعه وهو يقود. على الفور أدار رأسه ليبتسم لها.. كم هو وسيم، إنه أكثر وسامة من مايلز.. على الفور أحست بالغضب من نفسها للتفكير بمايلز. إنها تريد أن تصل إلى مرحلة لا يبرز فيها إلى ذهنها، وأن تتوقف عن استخدامه كمقياس لبقية الرجال.. خاصة مايكل.. مايكل الأكثر لطفاً منه على أي حال، إذا قارن المرء بينهما.

على مايلز أن يختفي.. يختفي تماماً، قلباً وقالباً. يجب أن لا تتزوج

رجلاً في حين تبقى أفكارها مع رجل آخر، يتطفل على زواجهما!

وصلا المزرعة، وانتظرت رونا إلى أن أوقف مايكل الـ الكاراج، وسارا ذراعاً بذراع إلى الردهة حيث دخلتها للتو الآنسة مديرة المنزل. ابتسمت رونا لها بحرارة:

ـ مساء الخير آنسة هايز.

ـ مساء الخير آنسة وايل، مساء الخير سيد بيتلي. أنا مسرورة لوصول في الوقت المناسب.. لقد جهزت لكما عشاء جيداً.

سألتها رونا:

ـ أتعطيني عشر دقائق، لأتخلص من هذه البذلة، وأرتدي فستاناً مريح

قال مايكل:

ـ عشر دقائق.. لا غير.

كان لغرفتها في منزله، نافذة جنوبية وأخرى غربية وكانت شمس الغرو ترسل أشعتها إليها، فتضيء كل شيء بأشعتها الذهبية.. كانت غرفة جـ منخفضة السقف، قديمة الأثاث، قماشها كثير الألوان، وسجادها نا اغتسلت رونا، غيرت بذلتها لترتدي فستاناً من الحرير بلون برتقالي ناعم، أكمام طويلة وجيوب واسعة، كان مناسباً تماماً لأمسية قرب النار في منز ريفي.. ونزلت إلى الطابق الأرضي لتدخل غرفة الجلوس حيث كان ينتظر مايكل مع كوب من عصير الكرز.

هاهما يتصرفان في روتين محدد.. ستنزل دائماً لتجده ينتظرها م كوب عصير.. بعد دقائق سيتجهان معاً إلى غرفة الطعام، حيث أنّ طاوا خشب السنديان جاهزة لهما.. حتى وقبل أن يجلسا، ستأتي لهما الآنسة هايز بالحساء، وتؤكد لهما أنها أبقته ساخناً حتى آخر لحظة.

كانت الآنسة هايز في الخمسين من عمرها. تدبير المنزل، كان العمل الوحيد الذي تتقنه، وهكذا تقدمت إلى مايكل رداً على إعلان في صحيفة محلية، ووجدت العمل معه أفضل بكثير، وأكثر سهولة، جعله اعتياده عليها غير مكترث لها، كانت تطبخ وتقوم بالمهام المنزلية، وتجد ما يكفي من وقت للاعتناء بحديقة الورود.

كل ورونا قهوتهما إلى غرفة الجلوس. كان الظلام قد بدأ يهبط وأشعل مايكل ستائر النوافذ، ثم دفع بطاولة القهوة الصغيرة قرب ستقر إلى جانبها بتنهيدة رضى. فابتسمت له.. وكأنهما متزوجان

سألها:

ـ متى ستعودين؟

ـ وصلت لتوي..

سألها مجدداً:

ـ صباح الاثنين؟

ـ أجل.. أظن هذا.

كانت تعرف أنه يرغب في أن تكون له طوال يوم الأحد بكامله: أن تمشي معه، ويمضيان أمسية هادئة مثل هذه، دون أن يضطر إلى إيصالها ليلاً إلى محطة القطارات لتسافر إلى لندن.

ـ عظيم.. ما الأخبار؟

ـ لا شيء مهم.. قل لي أخبارك أولاً.

ـ حسناً.. ولدت لي عجول جديدة.. سترينها في الصباح.. المخزن الجديد يكتمل بسرعة. عدا هذا.. لا شيء.

ابتسمت له ولامس قماش فستانها:

ـ لونه رائع.. أنت كالشعلة.

ـ لكنني لا أشعر هكذا أجد المكان بارداً، بعد شقتي الصغيرة الدافئة.

وقف ليضع المزيد من الحطب في النار، مع أن الأمسية الصيفية المبكرة لم تكن باردة حقاً. ثم قال:

ـ تزوجيني، وسأضع لك تدفئة مركزية في كل المنزل.

ـ حسناً.. ابدأ بالتركيب.

ضحك وعاد يجلس قربها:

ـ أتمنى لو أنك تعنين ما تقولين.

ردت بهدوء:

ـ أعنيه.

أدار رأسه ينظر إليها، وبدا عليه الجد:

ـ كرري ما قلتِ. هل سمعت جيداً؟

ـ أظن هذا.. فأنا سأتزوجك لو وضعت لي تدفئة مركزية في المنزل.

ـ حقاً.. يا رونا..

ـ حقاً يا حبيبي.. سأتزوجك.. بتدفئة أو بدونها.. أريد أن أتزوجك.

أخذ نفساً طويلاً، وبدا عليه عدم التصديق.. فأردفت:

ـ جئت في نهاية هذا الأسبوع مع عزم أكيد على أن أقول لك هذا.

ضمها بين ذراعيه:

ـ لا أكاد أصدق أنني أسمع ما يبدو أنني أسمعه لكن الأمر صحيح.. هذا رائع يا رونا.. أوه.. رونا..

تعانقا طويلاً، وبجدية، وتفجرت الحطبات التي وضعها مايكل إلى شعلات ملتهبة، انعكس نورها عليهما ليزيد من عمق لون فستانها، ويزيد من سواد رموشها، حتى بدت عيناها أكثر سواداً.. ببطء تباعدا، وتراجعت رونا إلى زاوية الأريكة مسندة رأسها.. رفع يده يملّس خصلات شعرها إلى الوراء ويسأل:

ـ إذن.. هل نعلن خطوبتنا رسمياً؟

ـ أجل.

ـ ومتى سيكون الزفاف؟

ـ متى شئت يا مايكل.

ـ أريد أن يتم في أسرع وقت.

ـ أجل يا حبيبي.. في أسرع وقت تشاء

ـ هذا الصيف؟

هزت رأسها وعيناها تلمعان.. فقال:

ـ هذه ضربة صرعتني.. ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟

ـ أغيّر رأيي؟

ـ كنت مصرة جداً على عدم الزواج الآن.

ـ أوه.. حبيبي.. يجب أن تعزو هذا إلى طبيعة النساء المتغيرة دائماً.

ـ لكنك لست متقلبة.. ليس في هذا المجال على الأقل.. لماذا تغيرت؟

أدركت أنها لن تنجو بسهولة من الشرح.. فنظرت إليه بجدية وردت:

ـ حسناً.. أعتقد حقاً، يا مايكل.. أنني بحاجة إلى كل الأمان والسلامة التي يؤمنها لي الزواج منك.. وأنت تعرف أنني لا أعني الأمان المالي.. فهذا أمر لا يقلقني أبداً.. لكنني أؤمن أن العيش معك، سيكون أمناً لي.. ربما كلانا سيجد الأمان.. وسيتخلص من الوحدة، في هذا العالم. وحتى هذا ليس بالسبب الكافي.. الأمر أكثر من هذا.

ـ ربما هو الحب؟

ـ أوه.. أتمنى أن يكون.. أحس أنني غشاشة يا مايكل.. لأنني لا أحبك كما تحبني.. لكنك تعرف هذا.. وإذا كنت تريدني رغم هذا..

قاطعها:

ـ أريدك.

ـ إذن، أنا كذلك أريد الزواج منك حقاً.. وربما مع الوقت سأحبك كما أشعر أن عليّ أن أحبك.

نظر إليها بجدية هادئة لبعض الوقت، وبادلته النظر، وهي تتساءل ما الذي يشغل باله:

ـ هل أنت واثقة تماماً.. يا رونا؟

ـ أجل.. واثقة.

ـ إذن.. سنتزوج هذا الصيف.

ضمها بين ذراعيه بقوة وحب مشتعل.

استسلمت رونا إلى إصرار ذراعيه.. لقد أراحت ضميرها.. وأظهرت له مرة أخرى الحقيقة: إنها لن تستطيع أن تحبه الحب الذي يريده.. مع ذلك كانت رغبته في أن يتزوجها.. وقررت أن تجعل هذا الزواج ناجحاً.. سترمي الماضي خلفها.. وكانت تعني بهذا مايلز، إلا أنها لم تشأ استخدام اسمه.. وستركز بكل جوارحها على الحاضر والمستقبل.

كان الوقت متأخراً حين توجه كل منهما إلى فراشه. استلقت رونا في

السرير، والنوافذ مفتوحة أمام الهواء النقي، وتوقفت وهي تمد يدها لتطفىء المصباح، ونظرت إلى غرفتها اللطيفة مرة أخرى.. سيدو لي الأمر غريباً في أن أعيش هنا، ليس كضيفة، بل أن أعود إلى بيتي.. وليست هذه غرفتي، كما أعتقد.. فأنا ومايكل ستكون لنا الغرفة الكبيرة التي تطل على التلال.. وهذا ما سبب لها الجمود للحظات.. أن تعطي نفسها هكذا، وبالكامل، أن تشرك شخصاً آخر في حياتها، التي كانت دائماً لها وحدها.. إنها لخطوة خطيرة.. بطريقة ما ستكون تسليماً لشخصيتها..

لو أنه كان مايلز.. ولم تستطع هذه المرة كبح تفكيرها به.. لو كان مايلز.. لكنت صببت كل ما في نفسي، وما احتفظت بشيء.. لكن هكذا هي الحياة.. الرجل الوحيد في العالم الذي سيكون مناسباً تماماً لي.. لا نية له في الزواج من أية امرأة. الرجل الوحيد الذي يفهمني، والذي يعرفني كما أنا بالضبط.. يريدني إذا حصل علي بسهولة.. وليس إذا اضطر لدفع الثمن.

أحبه.. لكنني لا أستطيع الزواج منه.. لذلك سأجبر نفسي على نسيانه، سأجعل من هذا الزواج ناجحاً.. ولو وضعت كل عزيمتي فيه، أعرف أنني أستطيع إنجاحه.

كان مايكل مستيقظاً كذلك في غرفته.. وقف عند النافذة يدخن سيكارة، ويفكر، لم يستطع التساؤل لماذا غيرت رونا رأيها فجأة حول الزواج.. لطالما قالت إنها لا تريد أن تتزوج.. وإن شيئاً يمنعها من الزواج.. وإن ليس من العدل أن تتزوجه دون حب الزوجة لزوجها. كان يحس بالحاجز بينهما وكأنه حاجز ملموس وعرف أن لا قدرة له على إزالته، فما الذي أزال هذا الحاجز فجأة؟

يعرف أن رونا بعيدة جداً عن أن تكون كتاباً مفتوحاً له. إنه يعرف عن حياتها الخاصة ما تختار هي أن يعرفه.. أمن الممكن أن يكون شيء ما قد حدث؟ أيمكن أن يكون هناك شيء ما غيّرها، وجعل الزواج يبدو لها مرغوباً؟

لماذا أقلق؟ لقد حصلت على ما أريد.. وبما أنني حصلت عليه، سأحتفظ به..

مع ذلك، لم يستطع في اليوم التالي أن يقاوم اندفاعاً لأن يعرف ما الذي حدث مؤخراً ليدفعها إلى تغيير رأيها.

كان يوم أحد رائع.. يوماً صافياً من أيام الصيف المبكرة. حيث تتصاعد الغيوم البيضاء كالثلج، لتزين السماء الزرقاء، والنسيم الخفيف يبقي الأزهار الجديدة الشابة مهتزة.. خرج مايكل إلى المزرعة بينما كانت رونا نائمة كعادتها في عطلة نهاية الأسبوع، ثم استيقظت لتجد الآنسة هايز قرب سريرها مع صينية الفطور.. والتقيا فيما بعد في الحديقة، لينطلقا معاً في نزهة حول المزرعة، وعبر الغابة، رونا كانت سعيدة راضية.. وأحست براحة كبرى في تحديدها لموقفها.

قالت لمايكل:

ـ مرجة الزهور الزرقاء جميلة، تقارب جمال مرجة ديانا.

ـ وستتحسن.. أخبريني يا رونا.. ما نوع الأحجار الكريمة التي تريدينها لخاتم الخطوبة؟

فكرت لحظات:

ـ لماذا لا تريني مجوهرات أمك؟ ربما نجد فيها خاتماً.

ـ لا.. هذا الخاتم يجب أن يكون لك.. إنه شيء شخصي بيننا.. أتحبين الألماس؟

ـ بل الزمرد.. لطالما أحببت الزمرد.. وأنا لا أملك مجوهرات تقريباً.

ـ سأجيء في أحد أيام الأسبوع إلى المدينة لنذهب ونشتري ما تريدين.

خرجا من الغابة، وعادا أدراجهما نحو المنزل لتناول الغداء يقطعان المروج يداً بيد، سألها وهما يسيران:

ـ لم تقولي لي ماذا كنت تفعلين مؤخراً؟

ـ الأشياء العادية.. معظم الوقت.. أخذت إميليا إلى عرض الأزياء الخيري، لا بد أنك قرأت عنه في الصحف.

ـ وما أخبار الحفلة الراقصة لبنات آل سيرنغ؟

ـ كانت ناجحة جداً.. وأعجب الجميع بالتصاميم كانت الفساتين ناجحة جداً.

- من كان هناك؟ هل قابلت أحداً له أهميته؟

بدا لها أنه يتبع منهجاً محدداً في أسئلته:

- لماذا تسأل؟

- لأنني.. أريد معرفة كل شيء عنك.. أريد أن أعرف كل شيء تفعلينه وأنت غائبة عني، من تقابلين، مع من تمضين وقتك. أريد أن أتمكن من تصورك في كل لحظة.. وأنا أخشى أن لا تجدي شيئاً يهمك في علاقاتي العامة.

- حسناً، قابلت شخصاً مهماً، لكن بالنسبة لي، كان كلامه سخيفاً.. إنه كيرك هوم.. أيوحي لك الاسم بشيء؟

- طبعاً.. إنه عالم الذرة.. لكن، ماذا كان يفعل في مناسبة كهذه؟

- إنه عراب التوأم.. إنه محبوب: ضخم، طويل، له حاجبان كثيفان، وشعره أبيض جميل.. وأراد أن يعرف رأيي في الزواج بين ما سماه بروفسور عجوز، وصانعة ثياب.

- فعلاً؟ أرجو أن تكوني قد أوقفته عند حده!

- بل قلت له إن الأمر سينجح تماماً.

- لماذا لم تجربي إذن.. حبيبتي؟

- لأنني كنت أرغب فيمن هو أصغر سناً، وأكثر وسامة، وهكذا طرت إليك.. فلنتحدث عنا.. لأننا نحن أكثر أهمية..

هكذا تحدثا عن أنفسهما، وتوصل مايكل إلى استنتاج، بأن لا شيء مميز دفعها إلى ذراعيه.. وأنها حقاً تبدو سعيدة، إلى أن أحس بنفس الأمان الذي تحس به.. في الحاضر والمستقبل.

* * *

١٠ - يوم الوداع

تناول مايلز العشاء في شقته لوحده.. ثم وقف ينظر من النافذة المفتوحة المطلة على أشجار الحديقة العامة، وهواء المساء الصيفي العليل يدخل منها. كانت القهوة على طاولة منخفضة خلفه، سيكاره لذيذ الرائحة.. إنها أمسية مثل الكثير من أمسيات حياته. بلا ارتباطات، لا واجبات، وهو غير مضطر للخروج، ويمكنه أن يستريح في محيطه الهادىء ليدرس أوراقه أو يقرأ كتاباً. مع ذلك، وعلى عكس مثيلاتها من الأمسيات في الماضي، لم تأت هذه الأمسية معها بالاسترخاء المطلوب.

أدرك أن الرضى الكامل الذي طالما وجده في حياته لم يعد له وجود.. ما كان دائماً يكفي بالنسبة له من قبل، لم يعد كذلك، وإذا أمعن النظر بحثاً عن السبب، كان يعود مراراً وتكراراً إلى استنتاج واحد: رونا.

قال لها مرة، في وقت مبكر من تعارفهما: «غريب يا رونا كيف أن حاجاتنا في الحياة تتبدل باستمرار» يومها كان يفكر بما تريده رونا من الحياة، وكان من الصحيح أن أفكارها في تلك المرحلة بالذات، والتي تسببت في ملاحظته تلك، كانت تتغير، ولم يفكر مطلقاً أن من الممكن أن يغيّر هو كذلك نمط حياته، لكنه الآن راغب في التغيير.

أمضى وقتاً طويلاً قبل أن يدرك هذا.. بعد رونا، انقلب إلى العديد من النساء الشابات ممن يعرفهن، يرافقهن للرقص والمسرح، والعشاء. لكن، ما من واحدة منهن أثارت فيه اهتماماً تمكن من البقاء.. بعد رونا، كن جميعاً مملات.. عاجلاً أم آجلاً لا بد أن يقابل أخريات قد لا يكن مملات.. لكن مع مرور الوقت بدأ يحس أن ما من واحدة سترضيه بعدها.

إنه يحبها.. ولقد أحبها زمناً طويلاً.. لكنه أحب من قبل.. ولطالما ضحك من فكرة الحب.. لكنه الآن يعرف أن هناك حباً أكبر من حب، هناك

حب له أهميته فعلاً، وبما يكفي ليجعل من كل خططه للحياة خططاً لا أهمية لها.

ليلة كان واثقاً من أن رونا أصبحت له، قال لها، وقبل أن تصل ديانا لتفرقهما بقسوة: «لا يمكنك الاستغناء عني يا رونا» لكنه الآن عرف أنها تستطيع الاستغناء عنه.. وأنها بنت قوتها، مع الألم، لتقاومه.. ولازمت مبادئها، ولو لم يكن هذا دون مرارة.. الآن جاء دوره في عدم الاستغناء عنها.

الأيام الخوالي ولت، دون أمل في الرجوع. لقد ماتت، وهو ليس راغباً في أن تعود، فكره قضائه عمره كله مع امرأة واحدة لم تعد منفرة، وفكرة تخليه عن استقلاليته، ووجوده الأعزب المريح لم تعد تخيفه.

بالاختصار، أصبح الآن يرغب في كل ما يرغب به الرجال الآخرون: زوجة، بيت يعيش فيه معها، وعائلة.

أصيب بالدهشة حين ذكرت رونا لأول مرة الأولاد.. كانت تقف على الرصيف معه، أنيقة نحيلة، حيث بدت بعيدة جداً عن الأولاد وعن سيدة المنزل، مع ذلك تعاوده كلماتها مرة بعد مرة، إلى أن أدرك الآن، أنها لو أنجبت يوماً طفلاً فيجب أن يكون طفله هو.. وهذا يعني الزواج.. وهذا بدوره ما جعل الزواج مرحلة مرغوبة، وبشكل عجيب.

فكر: إذن.. ماذا الآن؟ أيجب أن أذهب، وقبعتي في يدي، بكل تذلل، لأقول لها إنها على حق؟.. وعرف أن هذا ما يجب أن يفعله.. مع أن لا ضمان لديه بأنه سيلقى النجاح.. في الوقت الذي استغرقه إدراكه كم هي ضرورية له، قد تكون قد ابتعدت عنه.. لكن لا.. فقد تذكر كيف أن لمسة واحدة منه كانت تكفي عادة لجعلها مطيعة بين يديه.. لا.. لا يمكن أن تكون قد ابتعدت عنه.. وإذا قبلت بي.. والله وحده يعرف لماذا يمكن أن تقبل بعد الطريقة التي عاملتها بها، عندها ستتزوج في الحال وسآخذها معي إلى فلورنسا، وتكون لنا الفيلا لوحدنا.

في نفس تلك اللحظات التي كان يقف فيها مفكراً برونا تائهاً.. كانت رونا تكتب له رسالة، ثم تعنونها بخطها البارز الجريء، ثم تسير عبر الشارع

الهادىء المهجور لتضعها في البريد.

كانت الرسالة نتيجة ثلاث محادثات أجرتها مع مايكل، آخرها كانت الأمسية السابقة.. حيث راجعت كل شؤون عملها معه. قال لها مايكل وهو يراجع دفاتر حساباتها:

ـ يدهشني أنني سأتعلم بضعة أشياء منك يا رونا.

ـ هراء! أنت تتملقني.

ـ بل أنا معجب حقاً بطريقة إدارتك لشؤونك.

ـ حصلت على المساعدة والنصيحة.. أتذكر؟ وكان لي ذلك الدافع المميز البدائي.. الرأسمال.

ـ أجل.. وإنه لمبلغ ضخم يا رونا.

ـ أعرف.. لكنه ينخفض تدريجياً كل سنة.

ـ ألم تكوني خائفة من استقراض مثل هذا المبلغ؟

ـ أظن أن الأمر كان قضية أن الجهل نعمة.. فيومها لم أكن أدرك ضخامة المبلغ.. وأذهلني أن يكون لمايلز كل هذه الثقة بي، مع أنني أعتقد أنه كان يتوقع خسارة المبلغ.. أو قسماً كبيراً منه.

ـ والآن.. يا رونا؟

ـ الآن يا مايكل.. أريد، إذا كان ممكناً، أن أدفع له بقية المبلغ، لأكون مدينة لك فقط.

فكر مايكل ملياً، فسارعت تقول:

ـ دون صعوبة يا مايكل؟ فأنا حبيبي، أفضل أن أكون مدينة لك، بدلاً من مايلز.

ـ وأنا أفضل هذا أيضاً. لا تقلقي يا رونا، سأرى ما سأفعل.

فكرت رونا، أن هذا سيكون أفضل. ساعتها لن تعود بحاجة لأن تقابله أبداً.. ولا حتى فيما يتعلق بالعمل. مع ذلك أحست بنوع من الحزن بسبب مثل هذا الفراق.

قال مايكل بعد أن قرأ بعض المراسلات مع مايلز:

ـ يدهشني أنه كان كريماً على غير عادة. لماذا؟

ـ ظنني سأكون استثماراً جيداً لماله.

ـ ولا شيء غيره؟

ـ قلت لك من قبل يا مايكل.. لا شيء غيره.. عقدت معه صفقة، وقبل أن أقبل عونه، أردت أن تكون علاقتنا على أساس عملي فقط.

ـ وحافظ على هذا.. ألم يتغير شيء؟

ـ لا.. لم يتغير شيء.

ـ أبداً؟

ـ مالذي يقلقك يا مايكل؟ لا.. لم يتغير شيء.. مرة واحدة فقط، ظننت أنه قد يتغير، لكن لم يحدث شيء.. مجرد مرة.. جاء ذلك الانطباع وذهب.. وكانت نهاية لكل شيء.

سألها بسرعة:

ـ ما الذي جاء وذهب؟ في تلك المرة الواحدة؟

ـ لا شيء ملموساً.. ظننت فقط أننا نتقارب أكثر، ثم اكتشفت أننا بعيدان أكثر.. والآن، نادراً ما أراه.

ـ حسناً.. ستتخلص من هذا الدين، ثم ستعرفين على الدوام، أن ليس لك من ملجأ سواي.

الحديث عن مايلز أعاده مجدداً إلى تفكيرها.. مراجعة المراسلات والأوراق والدفاتر القديمة، أرجعت إلى ذاكرتها، وبوضوح شديد، الأيام الأولى من الذعر والكفاح والقلق.. حين كان مايلز سندها وملاذها. حتى أنها حين جلست تخط له الرسالة، كانت في مزاج لطيف، هو نوع من المزاج الشاكر المعترف بالجميل، وأخذت تشكره بدفء لكل العون الذي قدمه لها في الأيام الأولى وما بعدها. ثم قالت إنها أصبحت في مركز يسمح لها بتسوية ديونها. وهذا ما سوف يسرّ لسماعه.. وأصرت على أنها ستبقى دائماً ممتنة له. استغرقت كتابة الرسالة طوال المساء، حين أنهتها لم تكن راضية تماماً عنها.. مع ذلك، أسقطتها في صندوق البريد، ثم تمنت على الفور لو تسترجعها، وتغير فيها جملة أو اثنتين.. وعادت ببطء إلى شقتها.

أحست، واثقة، أن مايلز لن يسعد باستلامه الرسالة، ولن يتمنى لها أن

تستقل عنه.. ولا بد أن يعرف أنها اقترضت المال من شخص آخر لتتمكن من أن تدفع له.. وماذا سيفهم من هذا؟

ما فهمه مايلز، كان الحقيقة المبسطة... لاحظ كتابتها للعنوان بسرعة، ونظر إلى الدمغة قبل أن يفتحها، وأدرك أنها بعثت بالرسالة في الوقت عينه الذي كان يفكر فيها.. بأمل سريع، بأن يكون هناك نوع من التجاذب بينهما، فتح الرسالة، ليكتشف أنها بدلاً من أن تكون رسالة تقارب، كانت رونا على وشك قطع كل علاقة معه.

على الفور عرف أنها لا يمكن أن ترد الدين لوحدها. ولا بد أنها التقت شخصاً تفضل أن تعتمد عليه. وربما يكون «أدونيس المزارع» أو شخصاً غيره.. على أي حال، إنها خطوة جدية من جانب رونا، وليست خطوة هازلة، خطوة لا بد أن لها معنى.. يا إلهي.. هل تأخرت كثيراً؟ هل تزوجت شخصاً آخر؟.. أفزعته الأسئلة.. لا بد له أن يفعل شيئاً دون تأخير.

كان هذا يوم سبت. أحياناً كانت تعمل أيام السبت. وأحياناً لا.. اتصل بمكتبها، لكنها لم تكن هناك.. اتصل بشقتها، دون رد.. مرة، أعطته رقم هاتف ديانا، ففتش عنه واتصل بها، فمن المحتمل أن تكون في زيارة لصديقتها في عطلة الأسبوع، كما من المحتمل أن تكون مع أصدقاء آخرين.

رد عليه صوت رجل، قدّر أنه زوج ديانا:

ـ الآنسة وايل! لا، ليست هنا.. نتوقع وصولها عند الغداء.. هل تريدني أن أوصل لها رسالة؟

ـ لا.. سأتصل بها لاحقاً، بعد الغداء.

ـ ومن نقول لها؟

ـ شكراً لك.. سأتصل لاحقاً.

تعمد مايلز أن لا يذكر اسمه.. وهو لن يتصل، بل سيذهب بنفسه إلى المزرعة ليراها. ما تزال الآنسة وايل، والحمد لله.. لم تتزوج بعد، ومن المتوقع وصولها إلى هناك.. وربما سيرى هذا اليوم تسوية كل شيء بينهما.

لم يستطع السفر فوراً، فقد كان لديه موعد غداء عمل.. لكن ما إن استطاع الخلاص، حتى كان يقود سيارته بسرعة خارج لندن نحو الريف،

نافد الصبر مع كل السائقين من حوله الذين يمضون وقتاً ممتعاً بعد ظهر يوم سبت جميل . . أخيراً وصل المزرعة، وترك السيارة عند باب المنزل، ليسير عبر حديقة جميلة ويطرق الباب .

فتحته ديانا له . . وتعرفت عليه في الحال، لتبتسم ابتسامة دافئة .

ـ مساء الخير سيد مادسون . . يا لها من مفاجأة! . . ألن تدخل؟

ـ شكراً لك .

دخل البهو البارد يلحق بها إلى غرفة جلوس رحبة تتدفق إليها أشعة شمس بعد الظهر . وسألته :

ـ أكنت أنت من اتصل برونا في الصباح؟ تساءلت من يكون .

ـ أجل . . لقد وصلت إذن؟

ـ أجل . . كانت هنا للغداء . . لكنها خرجت إلى الغابة مع مايكل والأولاد . . وليس كلهم أولادي . لكنني أتوقع عودتهم وقت الشاي، قريباً .

تبادلا الحديث السهل، مع أن ديانا كانت تتساءل عن سبب هذه الزيارة . . بعد قليل، قالت :

ـ أرجو أن تعذرني فأنا سأخبز البسكويت، لأن عجينته جاهزة للفرن، وستكون ساخنة مع الشاي . ستبقى لتناول الشاي معنا . . أليس كذلك؟

ابتسم لها :

ـ سأكون مسروراً جداً بالبقاء .

ذهبت ديانا إلى المطبخ وهي تفكر : أجل إنه ساحر جداً . . لكن لماذا جاء إلى هنا ليخلق المتاعب بعد أن هدأت رونا واستقرت؟

بعد قليل عادت إلى غرفة الجلوس تقول :

ـ كل شيء جاهز . . وها هم عائدون عبر الحقل .

كان مايلز قد شاهدهم، إذ كان يقف ينظر من النافذة إلى رونا ومايكل وعدة أولاد، كان مايكل يحمل الطفلة الصغيرة على كتفيه ورونا تمسك بكلتي يديها بولدين، صبي وبنت، بينما الصبي الأكبر كان يسير في المؤخرة، يضرب العشب بعصا . . مرافقا رونا كانا يتابعان السير معها بخطوات سريعة مرحة، والكل يضحك . . إنها مجموعة سعيدة مكتفية تتقدم

عبر المرج إلى المنزل .

حين اقتربوا، أخذ الصبيان بالركض جاذبين رونا معهما . . واقتحما الردهة من الباب الخلفي، وهما يضحكان ويقفزان .

شهقت رونا :

ـ لا أستطيع الركض في هذا الحذاء .

ودخل الجميع غرفة الجلوس، الطفلة على كتف الرجل تقاوم لتنزل، ورونا تمد يديها لتسوي شعرها .

وشاهدت مايلز . . فتوقفت ويدها في الهواء . . بدت عليها الدهشة واضحة . . نظر مايكل إلى رونا، وتجاهلت ديانا ابنتها التي ركضت دون توازن عبر الغرفة نحوها، ونظرت إلى رونا بدورها . . وشاهد الجميع اللون يتلاشى منها ليتركها شاحبة بيضاء .

قال مايلز، الذي لم تفته ملاحظة ردة فعل رونا :

ـ مرحباً يا رونا .

ردت، دون حراك :

ـ مرحباً يا مايلز .

تقدمت ديانا لإنقاذ الموقف .

ـ أتعرف السيد بيتلي، سيد مادسون؟

قال مايكل باختصار :

ـ تقابلنا من قبل، مساء الخير .

لكنه لم يتقدم ليصافحه . . فهو لم يكن راضياً عن وجوده هناك .

لحسن الحظ، كان هناك الكثير من الضوضاء سببها الأولاد، والكثير مما يلهي . . جمعتهم ديانا، وحملت الطفلة، للاغتسال قبل الشاي، ما أعطى رونا فرصة لتستعيد رباطة جأشها . . وقالت :

ـ سيبقى السيد مادسون لتناول الشاي معنا . سنتناوله في غرفة الطعام سيد مادسون، مع الأولاد والضجيج . . يمكنكم الدخول متى كنتم مستعدين .

قالت رونا :

ـ نحن على استعداد الآن.

ودخل الجميع غرفة الطعام ليجلسوا حول الطاولة. ثم قال مايلز لرونا:

ـ استلمت رسالتك هذا الصباح.. ربما، بعد الشاي، أستطيع التحدث إليك؟

ابتسمت دون أن تجيب، مصممة على أن يكون مايكل حاضراً.. أكثر من مرة، كانت عينا مايكل مركزتين على رونا بتفكير عميق.. إنها ليست على عادتها.. فهي ما تزال شاحبة. لقد عادت من نزهة الغابة واللون يملأ وجهها العاجي، لكن هذا اللون فيه الآن بياض غريب.. لماذا على مايلز أن يصل الآن ليؤثر عليها هكذا؟

بعد الشاي، أرسل الأولاد الثلاثة إلى منزلهم في القرية. وأخذت ديانا الطفلة للنوم. وجاء ادوارد لبعض دقائق ثم اعتذر وعاد إلى مباني المزرعة. وقال مايلز لرونا:

ـ ربما الآن تستطيعين إعطائي بعض دقائق.

لكنه لم يكن يتوقع وجود مايكل.. وقالت:

ـ بالطبع.. يمكننا الحديث هنا.

ـ أحب أن نتكلم لوحدنا.

ـ تستطيع قول كل شيء أمام مايكل.

ـ إنه حديث عمل.

ـ مايكل يعرف كل شيء عن أعمالي.

قال مايكل:

ـ إذا كان لدى السيد مادسون أمر خاص يود قوله لك يا رونا.. فيمكنني أن أعود فيما بعد.

ردت بسرعة وإلحاح:

ـ لا.. لا تذهب يا مايكل.. أرجوك أن تبقى، فلا شيء خاصاً لدى السيد مادسون ليقوله لي.

كانت شديدة الحماس مما دعا مايكل لأن ينظر إليها باستغراب.. وقال مايلز:

ـ لكن لدي شيء خاص أقوله لك.

قالت رونا:

ـ إذن، لا أريد سماعه.

ـ هل أنت خائفة؟

نظرت إليه بغضب، ونظر مايكل إليهما معاً.. كان هناك توتر ملحوظ بينهما يتصاعد بسرعة، وحدّة مباشرة في تخاطبهما، مما يدل على أنهما يعرفان بعضهما جيداً، وبشكل حميم.. وقالت ساخطة:

ـ لست خائفة من أي شيء تقوله.

ولاحظ مايكل مجدداً العدائية في تعاملها مع مايلز، مما حيّره ودعاه إلى القول:

ـ إذا احتجت إليّ، سأكون مع ادوارد.. ربما في غرفة تصنيع الأجبان.

ـ لكنني أحتاجك.

قال بهدوء:

ـ ماذا دهاك يا رونا.. أخائفة أن تكوني لوحدك مع السيد مادسون لبضع دقائق؟

أرادت أن تصيح به: نعم.. هذا صحيح، أنا خائفة، لأجل السماء لا تتركني الآن.. لكن كيف ستقول له هذا لتكشف ما يعنيه مايلز لها!

قالت، والاستسلام في صوتها مع شيء من الإحباط:

ـ لا.. بالطبع لا..

انحنى مايكل يقبل رأسها، ويعد:

ـ لن أتأخر.

حين خرج، لم يتكلم أحد منهما.. أخيراً قالت:

ـ لماذا جئت إلى هنا؟ أبسبب رسالتي؟

ـ ظاهرياً بسبب الرسالة.. لكنني أردت أن أقول لك شيئاً آخر.. وأظهرت لي الرسالة أن من الأفضل لي أن أسرع لأقوله.

لم ترد رونا.. كانت تقف قرب النافذة، حيث وقف مايلز يراقب عودتها مع مايكل والأولاد.. وسألها:

ـ ألا تريدين معرفة ما أريد قوله؟

ـ إذا كنت قد أتيت إلى هنا وفي نيتك قول شيء . . فمن الأفضل أن تقوله . بعدها لا يعود لك مبرر يبقيك هنا . .

تقدم إلى النافذة ووقف قربها .

ـ لماذا أنت عدائية بمرارة هكذا يا رونا؟

صاحت به :

ـ أوه يا مايلز . . لا تكن غبياً هكذا! تعرف بالضبط ما هو الموقف بيننا ، . فلا تتظاهر بالعكس . . قل ما جئت لتقوله ، أرجوك ، ودعني بسلام .

ـ ألن يقاطعنا أحد؟ لا أريد من صديقك أن يعود لحمايتك .

ـ عليك أن تواجه المخاطرة .

ـ ألن تقابليني ، إذا اتفقنا ، في المدينة؟

هزت رأسها نفياً ، فأكمل :

ـ إذن . . يجب أن يتم هذا هنا .

لكنه صمت ، وأدركت رونا ، بدهشة كبيرة ، أنه يجد صعوبة في أن يبدأ كلامه ، فاستدارت تنظر إليه وتسأل :

ـ حسناً؟

ـ أعطني يدك أمسكها .

هزت رأسها رفضاً وقالت ببطء :

ـ لا تقل لي يا مايلز ، إنك لا تجد الكلمات المناسبة .

ـ ما سأقوله لن يكون سهلاً . . إنها كلمات لم أستخدمها من قبل .

نظرت إليه متمعنة ، مذهولة بالجدية العميقة في سلوكه . . وسألت :

ـ هل أنت واثق أنك تريد استخدامها الآن؟

ـ واثق تماماً . . واثق كما لم أثق بشيء من قبل . رونا . . منذ تركتني ، منذ توقفت عن رؤيتي ، كنت أشتاق إليك كل يوم . . وازداد حباً لك كل يوم . وأريدك أن تتزوجيني كي نستطيع أن نكون معاً كل يوم من أيام حياتنا . . فهل تتزوجيني يا رونا؟

ـ ألأنك لم تستطع الحصول عليّ بطريقة أخرى؟

ـ لا . . لا . . لم أعد أهتم بمثل هذا النوع من التملك .

ضحكت ضحكة قاسية قصيرة وقالت :

ـ أخيراً بدأت تلحق بي يا مايلز . .

ـ لك الحق بأن تكوني مريرة في كلامك . . لكن إذا كنت ما تزالين على حبك لي يا رونا . . فنحن لم نضيع وقتاً كثيراً بعد . . واعترف أن وجهة نظرك كانت محقة ، وأن أفكارك لبناء حياة جيدة ، صحيحة . الآن أريد أن تسمحي لنا ، أنت وأنا . . بأن نبني حياتنا معاً .

ـ لكنني يا مايلز . . لم أعد مهتمة .

أمسك يديها . . فحاولت جذبهما منه ، لكنه أمسكهما بثبات وسأل :

ـ أتنكرين أنك تحبينني؟

ارتجفت قليلاً ، وأملت أن لا يلحظ ارتجافها .

ـ مايلز . . لماذا تتصور أن الأمور يجب أن تتوقف دون حراك إلى أن تريد أنت منها أن تتحرك؟ أتظن أن بإمكانك أن ترميني ، وأبقى مرمية إلى أن ترغب أنت في أن تلتقطني مجدداً؟ لقد فكرت ببطء شديد بفكرة الزواج حتى اقتنعت بها . . وأنت تعتبر أن من المسلم به أن أبقى على حبك . . لكنك الآن تأخرت كثيراً .

أخفض عينيه إلى يدها التي لا خاتم فيها وقال بصوت منخفض :

ـ أنت لست متزوجة .

ـ لا .

ـ ولا مخطوبة؟

ـ بلى . . أنا مخطوبة .

ـ لكنك لا تضعين خاتم خطوبة .

ـ لأنني أرسلته إلى الجواهري لتصغير حجمه . . فهو ينزلّ من أصبعي ، سأتزوج مايكل .

ـ دون أن تحبيه؟

ـ بل أحبه . . تأخرت جداً يا مايلز .

توقعت انفجارات ، احتجاجات غاضبة . . حين احتواها بين ذراعيه لم

تدعش.. فقد كانت تحضر نفسها لهجومه.. لكنه لم يهاجمها، بل لف ذراعيه حولها بلطف، وقال بصوت ناعم: «لا.. لا..» لكن بتوسل أكثر منه احتجاج.

ـ أرجوك.. اتركني مايلز.

ـ رونا.. حين يحب شخصان بعضهما كما نحب.. من الغباء أن يفترقا.

ـ لقد فعلت ما في وسعك لتبقى على فراقنا.. يا مايلز. ولم تفعل شيئاً آخر، ولا فعله شخص آخر.. أنت لوحدك أبقيتنا على فراقنا.

ـ لا تتركي غلطة الماضي تدمر حياتنا يا رونا.

ـ فات الأوان.. فات الأوان.

صمت.. بعد أن أحس مرة أخرى بتلك القوة الهائلة على تنفيذ ما تراه مصيباً. وضمها بين ذراعيه بشدة. وضع خده على شعرها.. كان يعرف أنها المرأة الوحيدة المناسبة له.. يعرف هذا، ويعرف كما قالت أكثر من مرة.. إن الأوان قد فات..

على أي حال، بدأت التفاعلات الكيماوية القديمة تتفاعل مجدداً في نفس رونا.. وأحست بعودة كل النشوة القديمة، كل الأمان الذي لا يمكن وصفه، والذي طالما أحست به بين ذراعيه.. مرة أخرى تبادرت إلى ذهنها تلك الكلمات المدمرة الخطيرة.. هذه المرة فقط.. هذه المرة.! وعرفت تلك الكلمات وعرفت ماذا وراءها.. ولا يجب أن تسمح بهذا.. أبداً.. أبداً. أحست بغصة في حلقها، وتدافعت الدموع إلى عينيها.

ـ أوه.. يا إلهي!

وانتزعت نفسها منه، لتبتعد في الغرفة إلى أقصى ما تستطيع عنه.

ـ أتجد سهولة في تدمير حياة الناس؟ أيمكن لك أن تحطم مايكل بخفة؟ كما حطمتني يوماً؟ الأمر غير نافع يا مايلز.. فهناك أشياء مثل الوفاء والإخلاص.. وأنا سأتزوج مايكل.. وسريعاً.

صمت.. مفكراً.. ثم قال:

ـ هذا جنون يا رونا.. لا يمكن أن تسعدي.

ـ بالطبع سأكون سعيدة.. ويمكنني أن أسعده كذلك!

ـ على الأقل.. فكري بالأمر.

ـ لماذا؟ أيكون أقل قساوة أن أتركه في الغد بدل اليوم؟.. قراري ثابت.. يا مايلز!

ساد صمت طويل بينهما، قطعته:

ـ لا فائدة من بقائك هنا وقتاً أطول يا مايلز.. حقاً.. أليس كذلك؟

رد بكآبة:

ـ أعتقد هذا.

عرفت رونا أن مايلز، يحس الآن ما أحست به في ذلك اليوم منذ أمد بعيد حين أدركت أنه يعرض عليها أمراً لا قيمة له بدل الزواج.. غريزتها كانت تدفعها لمحاولة مواساته، لكنها قاومتها. وكبحت الدموع التي استمرت تترقرق في عينيها. ثم قال:

ـ حول القرض يا رونا.. لا سبب يدعوك لإلغائه إذا كان يناسب بيتلي.. ولا داعي لنقله.. إلا إذا كنت يائسة. وأنا لن أزعجك به.

ـ أعرف هذا يا مايلز.. لطالما كنت لطيفاً معي.. لكنني أفضل أن أكون مدينة لمايكل؟.. وشكراً لك.

ـ حسناً.. إذن هذا كل شيء.

توجه نحو الباب، ورافقته رونا.

نظرا إلى بعضهما.. هناك آلاف الأشياء ليقولاها لبعضهما، مع ذلك لا شيء يقال الآن.. الندم، الوعود، الآمال، الأشواق.. لا فائدة من الحديث عن كل هذا الآن.. لكن كيف سيفترقان هكذا؟ وكما في مرات سابقة.. تقدما إلى بعضهما بالدفاع مشترك، وتعانقا، وهما يشدان بعضهما بقوة لا توصف. حين افترقا.. ابتعدت رونا عنه بسرعة وخرجت من الغرفة إلى الردهة، ثم تقدمت إلى الباب الأمامي دون أن تراه.. ولحق بها مايلز.. خرجا إلى حيث تقف سيارته.. دون أن يرى أي منهما مايكل.

كان مايكل قد دخل المنزل لتوه من الباب الخلفي ببطء. وهو يتساءل عما إذا كان لهما ما يكفي من وقت للحديث الخاص.. رونا التي خرجت

سرعة من الغرفة هرعت إلى الباب الأمامي، وبدت غريبة له، إذ كانت تعابير وجهها متوترة، وقسماتها متغيرة تنضح بمشاعر غريبة.

تركت باب المنزل مفتوحاً، وشاهدهما مايكل يقفان أمام السيارة، ودخل مايلز، ونظر إلى رونا التي رفعت يدها تودعه بطريقة بائسة.. وانطلق، لتبقى جامدة حيث هي، ويبقى مايكل جامداً في الردهة ينتظرها.

أخيراً تحركت.. استدارت لتعود إلى المنزل. وتنهدت طويلاً.. وكان على وجهها الجميل وأناقتها الكاملة نوع من القنوط، أما انحناء جسدها المستقيم فقد بدا غريباً لمايكل بالكامل. وهي تتقدم قوّمت كتفيها، وهي تدخل الردهة، رأى أن القنوط قد اختفى.. فتقدم لمقابلتها، يسأل:

ـ ذهب مادسون؟

ـ أجل.. ذهب.. وطلب مني وداع الجميع.

وابتسمت له.. لكن دون الإشراق والانفتاح العادي.. وكان يمكن أن ينخدع، لولا أنه شاهد ما جرى قبل الابتسامة.. لكنه الآن يعرف أعماق المشاعر وراءها.. أعماق لا شأن له بها، لم يكن ليحلم بوجودها.. لكنه سأل بهدوء:

ـ هل سويتما كل الأمور؟

ـ أجل.. يا حبيبي.. سوينا كل شيء.. وسيرتب الأمور لأجل المال.

ـ لم أكن أفكر بالمال، يا رونا..

ـ حسناً.. كل شيء على ما يرام.. ولن أحتاج لرؤيته مجدداً..

ـ ولماذا أنت نواقة لعدم مقابلته؟ ألم يكن طيباً معك دائماً؟

ـ بلى.. لكن.. أوه.. حسناً.. عالمه ليس شبيهاً بعالمي يا مايكل.. على أي حال أنا لم أقابله منذ أمد بعيد.. والآن دعنا نفتش عن الآخرين، حبيبي.. يجب أن نعود إلى منزلنا، وإلا ستفسد للآنسة هايز إعداد العشاء لنا.

استخدمت كلمة منزلنا متعمدة، وعرف مايكل هذا.. كانت تحاول قدر استطاعتها البقاء على سجيتها العادية معه.. وودعا الجميع، وصعدا إلى سيارة مايكل لينطلقا إلى «مزرعتهما».. ولم تجد دبانا شيئاً غريباً في

تصرفات رونا.. بانطلاق السيارة، شاهدت يد رونا تنغرس في ذراع مايكل، ورأت مايكل يدير رأسه ليبتسم لها.. وابتسمت رونا له.

تنهدت دبانا تقول لنفسها:

ـ أحمد الله على هذا.. كنت خائفة جداً أن يسبب مجيء مايلز المتاعب.

• • •

www.liilas.com
dvorele

١١ ـ كأنه الأبد!

أمضى مايكل ورونا أمسية سعيدة معاً . . بعد العشاء والقهوة في غرفة الجلوس، تمشيا في المزرعة ذراعه ممسكة بذراعها وتناقشا حول مستقبلهما، متى سيقام حفل الزفاف، أين سيذهبان لتمضية شهر العسل. كما استطاع مايكل أن يرى، وكان مراقباً أكثر من عادته، لم يكن هناك أي شائبة في رضى رونا. لكنه أدرك، أنه خلال كل علاقتهما، كانت هناك نقطة واحدة استمر في تجاهلها باستمرار . . ولم يعد بالإمكان تجاهلها بعد الآن.

لكنه لن يفسد ذلك المساء بذكرها . . فهذه أمسية رائعة حقاً. هكذا، انتظر حتى بعد ظهر اليوم التالي، قبل أن يطرق الموضوع الذي يشغل تفكيره . . كان معها في أعلى نقطة في المزرعة، والغابة منتشرة أمامهما حتى التلال الزرقاء وعلى مسافة بعيدة.

ـ رونا . . أريد أن نتكلم حول مايلز.

نظرت إليه بدهشة، وبقدر ظاهر من القلق:

ـ مايلز؟ أوه . . لا أريد التحدث عنه.

ـ لكنني أريد . . يا رونا، أظنك لم تكوني صادقة تماماً معي. لطالما قلت إن لا شيء بينكما.

ـ لم يكن هناك شيء بيننا . .

ـ بدا لي بالأمس أن هناك الكثير بينكما.

نظرت رونا إليه مفكرة:

ـ الأمر صعب شرحه.

ـ ألا يمكنك أن تحاولي؟

ظننت بداية، أن شيئاً ما قد يحصل منها. كانت هناك دائماً إمكانيات، نوع من التقدم والتأخر.

صمتت لحظات مفكرة ثم تابعت:

ـ من الجيد أنها انتهت يا مايكل . . صدقني.

ـ لكنني لا أصدقك.

نظرت إليه مجفلة.

ـ لكن يجب أن تصدقني.

ـ حين كنت تقولين باستمرار إنك مولعة بي، وإنك لا تحبيني كما أحبك، كنت أظن أنني قد أتمكن من تعليمك أن تحبي مثلي . . وكما يجب أن أدرك، أنك لا تحبيني، لأنك على الأرجح، تحبين شخصاً آخر . . رجل آخر كان يمكن أن يلاحظ هذا على الفور . . لكن الغريب أنني لم ألاحظه . . ربما لأنك شخصية متباعدة، مكتفية بنفسك . . وحتى أحياناً متحفظة. بالأمس لاحظت وجود رونا مختلفة، واحدة لا أعرفها، قادرة على أن تكون واقعة في الحب، وفي حب يائس، بنفس الطريقة التي أريدها أن تكون، لكن ليس معي.

ـ سأقول إنك مخطىء . .

ـ هذا غير صحيح.

صمتت، فأكمل:

ـ في الواقع أنت تحبين مايلز مادسون . . أليس كذلك؟

ترددت:

ـ أتمنى لو أستطيع الإنكار.

ـ لكنك لا تستطيعين.

ـ لا.

أبعد نظره عنها، فقالت:

ـ آسفة يا مايكل . . سأحاول صدقاً أن لا يكون لذلك أي أثر.

ـ رونا . . رونا . .

ـ أعدك أن أجعلك سعيداً يا مايكل.

ـ لن تستطيعي يا عزيزتي . . ولو كانت لك أفضل إرادة في العالم . . وما الذي يجعلك تظنين أنني قد أريد زوجة يكون قلبها مع رجل آخر؟

همست:

ـ أوه . . عزيزي .

ـ ما الذي حدث . . بينكما؟

ـ لا شيء كان يسير بصواب .

ـ لماذا؟

ـ لأننا لم نتفق يوماً على شيء .

ـ أي شيء؟ أخبريني يا رونا .

ـ الزواج . . أرادني دون زواج .

ـ أيحبك يا رونا؟

ـ أجل .

ـ وهل ما يزال يريدك دون زواج؟

ـ لا .

ـ أتعنين أنه لم يعد يريدك؟ أو لا يريد الزواج؟

ـ يريد الزواج بي ، لكنني لم أعد أريده .

ـ بسببي؟

صاحت:

ـ لأنه لن يحصل على ما يريد . . ولماذا يحصل على ما يريد؟ لماذا يستمر في التسبب بتعاسة الآخرين بسبب أنانيته؟ ثم يحصل على ما يريد بتغيير خططه كما يشاء؟ لن يضيره أن يفهم ما يمكن للآخرين أن يعانوا .

ـ مع ذلك ، أليس واقعاً أنك تريدين إعطاءه كل ما يشاء . . الآن!

صاحت مجدداً:

ـ لا . . فأنا سأتزوجك أنت .

ـ لكنني أعتبرك في حل من وعدك يا رونا .

ـ أوه . . لا . . لا . . يا مايكل . . لا يمكنني تركك تفعل هذا!

ـ ولن تستطيعي منعي . . أنا لا أريد زوجة ، يا عزيزتي رونا ، تحب رجلاً

آخر . . ولا تتصوري أنني أتخلى عنك له ، بتيل . . فما تفعلانه من شأنكما لوحدكما . . فما بيننا ليس جيداً بما يكفي ، وهذا الترتيب بكل تأكيد ليس ما أبتغي .

استمرت في الصياح:

ـ لو أنه لم يأت إلى هنا بالأمس! لما عرفت شيئاً عن هذا كله . . لكنا تزوجنا ، وسعدنا معاً .

ـ أتظنين هذا؟ أبعد أن أفشل في الحصول على الحب الذي أريد؟ لكنه جاء .

تنهدت رونا:

ـ مايكل ، ما زلت راغبة في الزواج منك .

ـ لكنني لم أعد راغباً .

ـ لسوء حظك أنك التقيت بي!

ـ ربما . . بطريقة ما .

ـ لو أنك لم تحبني هكذا ، لقلت إن لقاءنا كان أفضل ما جرى لي . أنت تستأهل زوجة تكون أكثر من زوجة لنهاية الأسبوع . . تستحق أن تُحب بالكامل وعميقاً . . تستحق امرأة أفضل مني بكثير . . لكنك لا بد تفكر أنني أقول هذا لمجرد إراحة ضميري .

ـ لا يا عزيزتي . . لا داعي لأن تثقلي ضميرك . فأنا دفعتك للموافقة على الزواج ، مع أنني دهشت لقبولك حين تفوهت به . ولا شيء يدعوك لتوجيه اللوم لذاتك . . فلا تنظري إلي بهذه المأساوية يا رونا .

لكنها بدت فعلاً مأساوية ، فأعادها إلى المنزل لشرب الشاي ، واضعاً ذراعها في ذراعه . . ومحاولاً إبهاجها ، وكأنها بحاجة إلى العزاء أكثر منه . . وفكرت رونا: لطالما فكرت أنه ألطف رجل في العالم . . وإذا احتاجت لبرهان . . فها هو!

سافرت إلى لندن ذلك المساء لتعود إلى شقتها المنتظرة . . بدت لها كالملاذ الآمن بعد يومين من الصراع المرير . . لكنها كانت تعلم أنها يمكن أن تصبح بسهولة موحشة في بعض الأوقات . . أما الآن فهي تكفيها لأن

تسترخي في هدوئها، وتحضر نفسها لأسبوع عمل ينتظرها.. وأن تترك العذاب الكامن في داخلها بهدأ.

كانت ما تزال تواجه مشكلة القرض. في الظروف الجديدة، لم تكن تستطيع ترك مايلز يمضي في ترتيبات النقل. يجب أن تتصل به، تسأله إذا كان ما يزال راغباً في استمرارية قرضه، فمن السابق لأوانه الافتراض بأنه سيقبل.. لكن يجب أن تطلب منه هذا.

اتصلت به في شقته:

ـ مايلز.. أريد التحدث إليك.. أتناسبك زيارتي هنا؟

ـ ماذا.. ألم نفترق إلى الأبد؟

لهجته كانت ساخرة، وأحست بألم في قلبها.. إنها تفهمه جيداً في مزاجه الساخر.

ـ حسناً.. أود التحدث إليك.. ثم نفترق إلى الأبد فيما بعد.. إذا أحببت.

ـ إذن.. لماذا لا تأتين إليّ؟ أستطيع تقديم عشاء لذيذ لك. أما أنت فلا يمكنك تقديم شيء سوى القهوة.

ـ شكراً لك.. سآخذ هذا.

ـ خذي سيارة أجرة، وسأطلب الطعام.

ارتدت ثوب سهرة طويل الأكمام منخفض الياقة واعتنت كثيراً بزينتها بحيث علق مايلز حين أدخلها شقته بالقول:

ـ كم أنت جميلة.. لقد وصل الساقي لتوه مع العشاء، وهو مشغول في المطبخ.

طوال فترة العشاء كان يحدثها بالعموميات. أخبرها عن رحلاته، عن نشاطاته، وجرّها إلى الحديث عن العمل ومشاريعها الحاضرة.. ولم يذكر لها سبب زيارتها قبل أن ينتهي العشاء ويتصرف الساقي.. قال بخفة:

ـ ظننت بعد يوم السبت أننا لن نلتقي ثانية.. وها أنت.. لقد اعتدت على هذه الشقة لزمن طويل يا رونا.

نظرت حولها إلى المكان الذي أحبته كثيراً:

ـ أجل.. مضى زمن طويل.

ـ لماذا أنت هنا الآن؟

ـ الأمر يتعلق بالقرض يا مايلز.

ـ أوه.. ماذا عن القرض؟

ـ هل ترغب في أن يستمر.. أرجوك؟

ـ تعرفين أنني أرغب.. قلت لك هذا يوم السبت.

ـ أوه.. شكراً لك.

انتظر مايلز قليلاً ثم سأل:

ـ أهذا كل شيء؟

ـ أجل.

ـ كان بمكنك طلب هذا مني عبر الهاتف.

ـ بدا لي أن الأمر سيبدو دون امتنان.. أو أنني أفرضه عليك كأمر مسلّم به.

ـ هكذا إذن.. وأعتقد أنك تريدين مني أن أسألك لماذا غيرت رأيك؟

ردت غاضبة:

ـ افعل ما شئت.

ـ حسناً.. لماذا غيرت رأيك؟ أيعني هذا أنك ترغبين في رؤيتي بين حين وآخر؟

ـ ربما.

ـ أم أنه يعني أن بيتلي لا يستطيع جمع المبلغ؟ أم أنه لا يؤمن أن عملك هو استثمار جيد لماله؟

ـ هذا لا يعني أي شيء مما ذكرت.

ـ هكذا إذن!

أخذ سيكاراً من علبة على الطاولة، وفتش عن الولاعة، ثم قال لرونا:

ـ أستطيع إيقاف طلب التغيير بسهولة. وسيستمر القرض كما كان.

ـ شكراً لك يا مايلز.

ـ والآن سآخذك إلى منزلك.

ـ بهذه السرعة؟

ـ ولمَ لا؟ هل جئت لزيارة اجتماعية؟ أم زيارة عمل؟ ألم تدركي بعد أن من الأفضل لنا أن لا نكون معاً.. لوحدنا؟

تقدمت نحوه تأخذ السيكار من يده:

ـ دعنا لا نذهب الآن يا مايلز.. تعال لنجلس ونتحدث.

نظر إليها مقيّماً.. ثم تقدم ليجلس إلى جانبها.

ـ ماذا تخططين يا رونا؟

ـ أحب المكان.. يذكرني بالأيام الماضية.. ولا أريد العودة إلى شقتي.

ساد صمت متوتر، لم تفعل شيئاً لتكسره. ووجده مايلز لا يحتمل، فقال أخيراً:

ـ تعالي إلى البيت.

وقف على قدميه، لكنها لم تتحرك.. فنظر إليها:

ـ قد يظن المرء أنك راغبة في الغزل.

لم ترد، فجأة جلس إلى جانبها مجدداً.. وضمها بين ذراعيه، وعانقها بشغف بالغ..

ـ لا يمكنك الاستمرار هكذا يا رونا.. تنتظرين دائماً الحصول على ما تريدين.. يجب أن تقرري بطريقة أو بأخرى.

ـ أعرف.. يا حبيبي.

ـ ما هو قرارك؟

ـ ضمني مجدداً يا مايلز.. أقوى، وأقرب.. أوه مايلز.. لقد مرّ زمن طويل.

ـ رونا.. نحن لبعضنا.. لا بد أن تفهمي هذا.. أعرف أنه مرّ زمن طويل لم أرك فيه.. رونا.. حبيبتي.. كوني متعقلة!

ردت بإثارة:

ـ لا.. لا أريد أن أكون متعقلة.

رفع ذراعيها من حول عنقه، ودفعها بلطف عنه.. قائلاً:

ـ اسمعي.. إما أن تتزوجيني، وإلا لن أراك أو المسك ثانية.. فماذا تختارين؟

ـ أختار أن أتزوجك.. بإمكانك الآن معانقتي كما تشاء.

ـ سأقتلك.

ـ حبيبي.. قلت إنني سأتزوجك، وأنا أعني هذا، سأتزوجك في الغد لو أحببت.. فلنتزوج في أسرع وقت ممكن. لأبقى معك هنا، ولا تضطر إلى إعادتي إلى شقتي.. مايكل لن يحصل عليّ.

ـ ماذا؟

ـ إنه لا يريد زوجة لا تحبه.. قال هذا بعد أن شاهدنا معاً، وعرف أننا نحب بعضنا.

تنفس مايلز طويلاً:

ـ إذن.. أخيراً، سمعت شيئاً متعقلاً منك.. أهذا صحيح؟

ـ أجل.. إنه صحيح.

ـ إنه حظ طيب أكثر مما أستحق.

ردت بجدية:

ـ أوافقك الرأي.

ـ أنا مدين لك بألف اعتذار يا رونا..

ـ وأنا مستعدة للتغاضي عنها كلها.

ـ وسأجعلك سعيدة جداً.. يا إلهي.. ستشارك في أحلى اللحظات، وستسامحيني على كل الألم الذي سببته لك.

ـ هذا ما حصل فعلاً.

ضمها مجدداً.. ومر وقت طويل قبل أن يستقرا ويبدآ بالتخطيط.. قال مايلز:

ـ يمكننا الزواج بترخيص خاص، هذا الأسبوع.

وافقته رونا.. وأكمل:

ـ في الوقت الحاضر سنعيش هنا.. لكننا سنبحث عن منزل كبير في المدينة، وربما ستحبين تغيير أشياء كثيرة في منزلنا الريفي.. سنسافر إلى

فلورنسا لشهر العسل . . إلى الفيلا . . يا رونا . .

ـ أوه . . أجل . . ستكون الجنة هناك . . يا مايلز ، أيجب أن يكون لنا كل هذه المنازل؟ هذه الشقة تكفينا .

ـ لا يجب أن تزعجي نفسك بها . . تابعي عملك والخدم يديرونها لنا ، كما يفعلون الآن .

ـ أوه . . يا عزيزي . . نسيت كم أنت ثري . . هل أنت مليونير يا مايلز؟

ـ ليس تماماً . . لكنني أقارب المليونير . وسأقدم لك القرض هدية زواج .

صاحت به :

ـ لن تفعل هذا . . سأعمل وأدفعه لك .

ـ حسن جداً . . سأرضى بتقديم معطف فرو ، وعقد الماسي .

ـ كم أن هذا مزعج . . فالأمر لا يهمك . . بدأت أتمنى لو كنت فقيراً . وليس لديك سوى الحب تقدمه لي .

ـ حين لا يكون لدي سوى الحب لك ، لا تعودين بحاجة لي . . ولطالما قدمت هدايا دنيوية رونا . . وهذا أمر سهل . . أردت مني شيئاً عزيزاً وهذا برهان على حبي أعطيه لك . . أنا سأعطيك استقلاليتي . . التي كانت تعني لي الكثير .

ـ ألا تعني لك شيئاً الآن؟

ـ أنت تعنين لي أكثر منها . . وزواجنا دليل ثابت .

فكرت قليلاً ثم قالت :

ـ الآن تثبت إميليا أنها مفيدة لي . . سأتمكن . . أوه . . إميليا . . إميليا وأنت يا مايلز .

ـ ماذا عني وعن إميليا؟

ـ لطالما أحسست باليأس لهذا . . أحسست بالغيرة التي دمرت حلمي .

رمى رأسه إلى الوراء ضاحكاً :

ـ لأجلي ولأجل إميليا . . ؟ ما هذا الهراء!

ـ أهو هراء حقاً؟ قالت لي إنها أحبتك دائماً . . لكن ما هو شعورك

نحوها؟

ـ أهي قالت إنها تحبني؟ . . لكن كما تحب عماً يحبها يا عزيزتي رونا . . عرفتها منذ كانت صغيرة جداً . . والدها صديقي ، وشاهدتها تنمو وتكبر ، وأنا مولع بها . لكن القول بأن هناك شيء أكثر من هذا بين تلك الطفلة وبيني . .

ـ لكنها لا تصغرني بكثير .

ـ إنها أصغر بأجيال يا حبيبتي . . لكنها موهوبة ولها شخصيتها ، وظلتها ستكون عوناً كبيراً لك . . ألم تكتبي لي عن رغبتك في أن تجدي شخصاً مثلها؟ هكذا وجهتها بلباقة نحوك لأنني أردتك أن تحصلي على المزيد من الحرية ، المزيد من الوقت بعيداً عن عملك . . وهذا ما كان يا عزيزتي قبل أن أقرر الزواج منك .

ـ أكنت تفكر بي بهذا القدر بالرغم من فراقنا؟

ـ طبعاً . . وطوال الوقت . . أنت لم تعطني فرصة للراحة ، ولا أشك مطلقاً يا رونا ، بأنك المرأة الوحيدة في العالم التي تناسبني .

ـ لقد استغرقت وقتاً طويلاً لاكتشاف هذا . .

لكنها قالت هذا بسعادة ورضى . . فالماضي لن يؤثر على سعادة الحاضر . . .

بعد وقت طويل ذلك المساء قال مايلز إنه سيوصلها إلى شقتها ، وأردف :

ـ قريباً ، لن يعود هذا ضرورياً . . أما الآن فأستطيع تحمل بعادك عني ، لأنني عرفت أننا عدنا لبعضنا أخيراً .

أحست بالألفة مع الكلمات التي سمعتها وعادت إلى بعض الذكريات الماضية ، وفي قمة أزماتهما ، كانا يظنان أنهما عادا إلى بعضهما أخيراً . . ونظر إليها للاطمئنان متسائلاً :

ـ لقد عدنا لبعضنا أخيراً . . وإلى الأبد هذه المرة؟

ردت رونا :

ـ أجل.. والكثير الكثير حدث لنا.. يا مايلز، وأبقانا مفترقين.. لكنني أظن حقاً أننا أصبحنا واثقين الآن من بعضنا.. بعد هذا الوقت الطويل.

* * *

تمت

www.liilas.com
doodle